# مذكرة مقرر: توحيد ( ٣ )

# كلية الشريعة

بسم الله الرحمن الرحيم

**اليوم الآخر:** هو يوم القيامة الذي يبعث الله فيه الناس للحساب والجزاء

**وسبب تسميته بذلك:** لأنه لا يوم بعده حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

**معنى الإيمان باليوم الآخر:** هو التصديق الجازم بإثباته وبجميع تفاصيله والعمل بموجب ذلك.

والإيمان باليوم الآخر يشمل كل ما ورد في أخبار ذلك اليوم وما يتعلق به فيدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه وبالنفخ بالصور وخروج الخلائق من القبور، وبالجزاء والحساب وما موقف القيامة من الأهوال والأفزاع، وتفاصيل المحشر، ونشر الصحف، ووضع الميزان، وبالصراط، والقنطرة، والحوض والشفاعة، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها وغيرها.

**حكم الإيمان باليوم الآخر:** ركن من أركان الإيمان وهو واجب لا يتحقق الإيمان إلا به وقد نص كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك

أدلة الكتاب والسنة على الإيمان باليوم الأخر:

**أولاً: من الكتاب:**

الأدلة من الكتاب على اليوم الآخر كثيرة متنوعة ويمكن تصنيفها على عدة أقسام:

**القسم الأول: الآيات التي فيها إخبار الله سبحانه وتعالى بوقوع القيامة:**

أعظم الأدلة الدالة على وقوع المعاد إخبار الحق تبارك وتعالى بذلك، فمن آمن بالله، وصدَّق برسوله الذي أرسل، وكتابه الذي أنزل فلا مناص له من الإيمان بما أخبرنا به من البعث والنشور، والجزاء والحساب، والجنة والنار.

وقد نَوَّع الحق تبارك وتعالى أساليب الإخبار ليكون أوقع في النفوس وآكد في القلوب.

١- ففي بعض المواضع يخبرنا بوقوع ذلك اليوم إخباراً مؤكداً بـ ((إن)) ، أو بـ ((إنَّ واللام)) كقوله تعالى: (إِنَّ السَّاعَةَ ءاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) [طه: ١٥] ، وقوله: (وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) [الحجر: ٨٥] . وقوله: (إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ) [الأنعام: ١٣٤] . وقوله: (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ) [المرسلات: ٧] .

٢- وفي مواضع أخرى يقسم الله تعالى على وقوعه ومجيئه كقوله تعالى: (اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ) [النساء: ٨٧] . ويقسم على تحقق ذلك بما شاء من مخلوقاته كقوله: (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا - فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا - فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا - فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا - إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ - وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) [الذاريات:

١-٦] . وقوله: (وَالطُّورِ- وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ- فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ- وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ- وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ - وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ - إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ - مَا لَهُ مِن دَافِعٍ) [الطور: ١-٨] .

٣- وفي بعض المواضع يأمر رسوله بالإقسام على وقوع البعث وتحققه، وذلك في معرض الردِّ على المكذبين به المنكرين له، كقوله: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ) [سبأ: ٣] . وقوله: (وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ) [يونس: ٥٣] . وقوله: (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ) [التغابن: ٧]

إلى غير من ذلك من المواضع.

**القسم الثاني: الاستدلال على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى:**

استدلَّ القرآن على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى، وتذكير العباد المستبعدين لذلك بهذه الحقيقة قال تعالى (وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا - أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) [مريم: ٦٦-٦٧] .

وقال تعالى(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ - ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ) [الحج: ٥-٧] .

وقد أمر الله عباده بالسير في الأرض، والنظر في كيفية بدأ الخلق ليستدلوا بذلك على قدرته على الإعادة (أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ - قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [العنكبوت: ١٩-٢٠] .

وقال تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الروم: ٢٧] .

**القسم الثالث: القادر على خلق الأعظم قادر على خلق ما دونه:**

خلق السماوات والأرض أعظم وأكبر من خلق الإنسان، ولهذا استدل الله على قدرته على إعادة الخلق بخلق السموات والأرض قال تعالى: (ذَلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا - أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ

رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا) [الإسراء: ٩٨-٩٩] .

وقال: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) [يس: ٨١] . وقال: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الأحقاف: ٣٣] . وقال: (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) [غافر: ٥٧] .

قال ابن تيمية بعد أن ساق هذه النصوص: " فإنه من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، والقدرة عليه أبلغ – وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك "

وقال شارح الطحاوية: " أخبر تعالى أن الذي أبدع السماوات والأرض على جلالتهما، يحي عظاماً قد صارت رميماً، فيردها إلى حالتها الأولى "

**القسم الرابع: ضرب الله المثل على البعث بإحياء الأرض بالنبات:**

وقد ضرب الله المثل لإعادة الحياة إلى الجثث الهامدة والعظام البالية بإحيائه الأرض بعد موتها بالنبات (فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الروم: ٥٠] . وقال تعالى (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) [فاطر: ٩] . وقال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [فصلت: ٣٩] . وقال تعالى (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ) [الزخرف: ١١] .

**وأما من السنة:** فحديث جبريل عليه السلام لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال:" الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" رواه مسلم

**المراد بالروح ومستقرها في البرزخ ودعوى التناسخ وتحضير الأرواح:**

**المراد بالرّوح:** الروح من الأمور الغيبية التي اختص الله سبحانه وتعالى بعلمها ومعرفة كنهها فلا يصح الخوض فيها بلا بدليل شرعي **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧ ﴾ الجن: ٢٦ – ٢٧و **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥ ﴾ النمل: ٦٥

وقال تعالى { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }وقد اختلف العلماء في المراد بالروح

قال شيخ الإسلام رحمه الله عن الروح" ومذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر سلف الأمة وأئمة السنة أن الروح عينٌ قائمة بنفسها ، تفارق البدن وتُنعّم وتُعذّب، ليست هي البدن ، ولا جزءٌ من أجزائه"

وقال بعضهم الروح: هي عين حادثة مجهولة في بعض أحوالها لطيفة قائمة بنفسها ذات صورة وصفات لا تكيف، تتصل بالبدن فيحيا، وتنفصل عنه فيتوفى وهي خالدة يبلى ظرفها ولا تبلى

ومعنى عين حادثة أي مخلوقة وهذا بإجماع المسلمين ومما يدل لذلك قوله تعالى**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ الزمر: ٦٢ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ ﴾

والإنسان مركب من بدن وروح

**معنى قائمة بنفسها:** الأشياء على نوعين:

الأول: ما يكون قائماً بنفسه فلا يحتاج إلى ذات تتعلق به.

الثاني: ما يكون قائماً بغيره ومتعلق به كالصفات فهي متعلقة بالمتصف بها، فالسمع والبصر والعلم متعلق بالذات الموصوفة بهذه الأوصاف.

والروح من النوع الأول فهي قائمة بنفسها كالبدن فهو قائم بنفسه.

**مسألة : تعلقات الروح بالبدن:**

الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، متغايرة الأحكام:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينا: وهذا التعلق فيه شيء من الضعف لأن حياة الجنين هنا متعلقة بحياة

أمه فهو نوع تعلق.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض: وهذا هو التعلق الذي يرتبط به التكليف.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه ولهذا كان النوم الوفاة الصغرى.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى لها إليه التفات ألبتة، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، وهذا الرد إعادة خاصة، لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فسادا.

**مستقر الأرواح في البرزخ:**

المراد بمستقر الأرواح: المكان الذي تكون فيه الأرواح بعد الموت وهذا المكان من الغيب الذي لم نكن نعلمه إلا عن طريق الوحي.

وعليه فلا مجال للعقل والتخرصات والتكهنات فيه، بل على المسلم أن يسلِّم للنصوص الواردة في هذا الأمر.

وقد دلت النصوص الصحيحة على أن للروح مقراً تكون فيه بعد الموت وهو مقر نعيم وسعادة أو مقر عذاب وشقاوة.

والناس في مقرهم بعد الموت يختلفون بحسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة أو بحسب كفرهم وأعمالهم السيئة، وما اجترحوه وماتوا عليه في دنياهم.

والتفريق في مقر الأرواح بعد الممات وعدم المساواة هو من عدل رب الأرض والسموات، إذ كيف يسوى بين المؤمنين والكافرين؟ وكيف يسوى بين الطائعين والعاصين؟

وقد دلت النصوص على أن الأرواح تتفاوت في مستقرها بعد الموت أعظم التفاوت كما سيأتي تفصيل ذلك كما وردت في النصوص:

**أولاً: مستقر أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:** دلت النصوص على أن مقر أرواحهم في أعلى عليين من الجنة على ما بينهم من التفاضل في الدرجات والتفاوت في المنازل، ويدل لذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته لما خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة وارتضاها لنفسه داراً ومنزلاً وفيه فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال:( اللهم في الرفيق الأعلى) فتقول عائشة فقلت: إذاً لا يجاورنا. متفق عليه.

وقد دل على تفاوت الأنبياء في منازلهم حديث الإسراء والمعراج لما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم في الإسراء، فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم آدم عليه السلام في السماء الدنيا، ورأى إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة، ورأى غيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما بين السماءين.

**ثانياً: مستقر أرواح عموم المؤمنين:** دلت النصوص على أن مقر أرواح المؤمنين الجنة فهي أي الروح طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى أجسادهم يوم القيامة.

والأصل في كون أرواح المؤمنين في الجنة قول الله تبارك وتعالى( فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم) ويدل عليه أيضاً قوله تعالى **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ **الفجر: ٢٧ – ٣٠**

وقد نقل ابن القيم عن غير واحد من الصحابة والتابعين أن هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا يبشرها الملك بذلك وهذه من البشرى التي قال الله فيها **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ **فصلت: ٣٠**

ويدل لذلك من السنة حديث البراء الطويل وفيه قال صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر كيف تقبض روح المؤمن وكيف أن الملائكة تصعد بها قال:( فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله عزوجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض.. ثم ذكر سؤال القبر وكيف أنه إذا أجاب نادى منادٍ في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره).

والدليل على أنها طير يأكل من ثمر الجنة قوله صلى الله عليه وسلم من حديث كعب بن مالك( إنما نسمة المسلم طير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله عزوجل إلى جسده يوم القيامة) أخرجه الحميدي وابن حبان وهو صحيح.

**ثالثاً: مستقر أرواح بعض الشهداء في جوف طير خضر تعلق من ثمر الجنة:**

تقدم أن أرواح المؤمنين في شكل طير، وأما بعض الشهداء فهي في حواصل طير خضر، ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم:( لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله عزو جل أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار

الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش،..) الحديث رواه أحمد وأبو داود وإسناده صحيح.

**رابعاً: ومن الشهداء من تكون روحه في قبة خضراء على نهر بباب الجنة.** كما في حديث ابن عباس:( الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية) رواه أحمد وإسناده حسن.

قال أهل العلم (هذا في شهداء عليهم ذنوب منعتهم من دخول الجنة مع السابقين)

**خامساً: وهناك أرواح بعض المؤمنين محبوسة عن دخول الجنة** وهم صنفان:

**الأول: من حبس بسبب دين، ويدخل هنا الشهداء وغيرهم.**

قد جاء في النصوص التغليظ لمن مات وعليه دين وأنه عرضة للعذاب فمن ذلك ما روى جابر رضي الله عنه قال: توفي رجل فغسلناه وحنطناه وكفناه، ثم أتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عليه فخطا خطى ثم قال:( أعليه دين؟) قلنا ديناران فانصرف فتحملهما أبو قتادة فأتيناه فقال أبو قتادة: الديناران علي فصلى عليه، ثم سأل صلى الله عليه وسلم ما فعل الديناران؟ فقال لقد قضيتهما فقال صلى الله عليه وسلم( الآن بردت عليه جلده) أخرجه أحمد وأبو داود وسنده حسن.

والدليل على أن الدين سبب لحبس صاحبه.

١): حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:( لا تزال نفس ابن آدم معلقة بدينه حتى يقضى عنه) أخرجه أحمد والترمذي وهو صحيح.

٢):وحديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الفجر ذات يوم فقال:( هاهنا من بي فلان أحد) فقال رجل: هو ذا فكأني أسمع صوت النبي صلى الله عليه وسلم قال:( إن صاحبكم قد حبس على باب الجنة بدين كان عليه) أخرجه أحمد وهو صحيح.

**الثاني: من حبس بسبب ذنب:** كصاحب الكبيرة ومن ذلك الغلول وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها.فقد جاء الوعيد فيه.

**ومن الأدلة على ذلك:** حديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال الناس هنيئا له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه نارا ).متفق عليه. وابن القيم زاد لفظة في هذا الحديث (في قبره) واستدل بها على هذه

**سادساً: مستقر أرواح الكفار**:دلت النصوص على أن مقر أرواح الكفار في سجين في الأرض السفلى بحسب منازلهم، ويدل لذلك حديث البراء الطويل وفيه أن الملائكة إذا قبضت روح الكافر يصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا.. وفيه فيقول الله عزوجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً) ويشهد لهذا قوله تعالى( إن كتاب الفجار لفي سجين)

وجاء في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم «إِنَّ نَسَمَةَ الْمُؤْمِنِ لَتَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، وَإِنَّ نَسَمَةَ الْكَافِرِ فِي سِجِّينٍ» رواه عبد بن حميد.

**دعوى التناسخ وإبطالها:**

التناسخ في اللغة: الإزالة والتحويل والتغيير.

والنسخ نقل الشيء من مكان إلى مكان

معنى التناسخ اصطلاحاً: هو انتقال الروح بعد موت صاحبها من جسد إلى جسد آخر في دورات متتالية وتعيين الجسد الذي تحل فيه ثانياً رهن بسلوكها في حياتها الأولى.

وقد بين ابن أبي العز دعوى التناسخ بقوله:(وقالت فرقة: مستقرها( أي الأرواح) بعد الموت أبدان أُخر تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح وهذا قول التناسخية منكري المعاد وهو قول خارج عن أهل الإسلام كلهم)

وقال بتناسخ الأرواح الفرق الباطنية كالإسماعيلية والنصيرية وكذلك أصحاب الديانات الهندية وغيرهم.

**وهذا المذهب باطل فاسد من وجهين:**

**الوجه الأول**: أنه مخالف لما اتفق عليه الرسل والأنبياء من أولهم إلى آخرهم وهو كفر بالله واليوم الآخر، وليس في الكتاب والسنة ما يدل عليه.

**الوجه الثاني**: أن حاصل هذا المذهب هدم لعقيدة المعاد ونفي الجزاء والحساب الذي يعقبه جنة أو نار.

**دعوى تحضير الأرواح وإبطالها:** تحضير الأرواح مذهب ومدرسة يدعي أصحابها أنهم يقومون بتحضير الأرواح، عبر وسيط، بطرق متعدده ينتج عنها الاتصال بعالم الأرواح، وإحداث ظواهر روحية خارقة.

والواقع أن هذه الدعوة دعوة هدامة قائمة على الشعوذة والدجل.

**إبطال دعوى تحضير الأرواح**:هذه الدعوى باطلة مناقضة لأصل الدين ويمكن إبطالها من عدة وجوه:

**الوجه الأول**: أن عالم الروح من الأمور الغيبية التي اختص بها الله تعالى دون سائر الخلق قال تعالى﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء: ٨٥ فلا يجوز الكلام فيها بغير علم.

**الوجه الثاني**: أن الله تعالى قد أخبر عن مستقر الأرواح بعد مفارقتها الجسد، وأنها في حالة برزخ وهو الحاجز الذي لا يستطيع العبد الوصول إليه قال تعالى(ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون).

**الوجه الثالث**: أنه لا سبيل للتحقق من أن الذي تتم محادثته هي روح الميت المقصود حيث لا يستبعد تدخل الشياطين، ومحاكاتهم لحالة ومقاله.

**الوجه الرابع**: أن القول بإمكانية تواصل الموتى مع الأحياء يتعارض مع النصوص الواردة في انقطاع عمل الإنسان بالموت، فالإسلام يقطع بأن ميدان العمل هو الحياة الدنيا فقط، وأن الآخرة دار الجزاء. قال صلى الله عليه وسلم( إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث..) ويؤكد هذا النصوص التي جاءت في تحديد وقت التوبة وهو قبل موت الإنسان **قال تعالى**﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ النساء: ١٧ – ١٨

ولهذا لم تقبل توبة فرعون **قال تعالى**:﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ يونس: ٩٠ – ٩١

وقال صلى الله عليه وسلم ( إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) رواه الترمذي.

## النصوص الشرعية الواردة في فتنة القبر وعذابه ونعيمه والرد على من أنكره

### أولاً: فتنة القبر:

**فتنة القبر:** المقصود بها امتحان الميت واختباره بعد عود الروح إلى جسده وإقعاده فيسأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه فإن كان صالحاً وفق للإجابة ثم أكرم وكوفيء بألوان من النعيم وإن كان سيئاً أهين وجوزي بألوان من العذاب.

**والأدلة على ثبوتها :**

**الأول: وقال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧] الآية** فقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بفتنة القبر كما روى ذلك البخاري في صحيحه قال صلى الله عليه وسلم("إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت}

**الثاني:** قوله صلى الله عليه وسلم (وإنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريباً من فتنة المسيح الدجال) متفق عليه

**صفة الفتنة:** بينت السنة صفة فتنة القبر ، وذلك أن العبد إذا وضع في قبره جاءته ملائكة على صورة منكرة، ففي سنن الترمذي " إذا قبر الميت – أو قال: أحدكم – أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان، ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول، هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.. وإن كان منافقاً، قال: سمعت الناس يقولون قولاً، فقلت مثله، لا أدري ..)

وجاء في حديث البراء بن عازب الطويل عن الرسول صلى الله عليه وسلم: " إن العبد المؤمن ... فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة ". قال: " فيأتيه من روحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره ". قال: " ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء

بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي، ومالي "
وإن العبد الكافر... فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك لذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة "

**مسائل تتعلق بفتنة القبر:**

**المسألة الأولى: هل فتنة القبر خاصة بهذه الأمة؟ أو عام للأمم كلها؟**

الجواب: فتنة القبر عامة للأمم السابقة كلها وتعذب أو تنعم وهذا هو الصحيح ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى(النار يعرضون عليها غدوا وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)

قال ابن القيم( والظاهر والله أعلم أن كل نبي مع أمته كذلك وأنهم معذبون في قبورهم بعد السؤال وإقامة الحجة)

**المسألة الثانية: هل الكافر يفتن في قبره؟**

الصحيح أن الكافر يفتن في قبره وهذا مذهب الجمهور ودليل ذلك أن الحديث أتى بلفظ( وأما المنافق أو الكافر) وهناك روايات أتت بالعطف (وأما الكافر والمنافق) والعطف بالواو يقتضي المغايرة.

**المسألة الثالثة: المستثنون من السؤال في القبر أصناف:**

الصنف الأول: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأمرين:

الأول: لورود النص في أن الشهداء لا يفتنون والأنبياء أفضل من الشهداء.

الثاني: أن النبي يسأل قومه عنه فكيف يكون هو مسؤلاً؟

الصنف الثاني: الشهداء ففي الحديث أن رجلاً قال يارسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهداء؟ فقال صلى الله عليه وسلم( كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة)

الصنف الثالث: من مات مرابطاً في سبيل الله عَن سلمَان رضى الله عَنهُ قَالَ سَمِعت رَسُول الله يَقُول رِبَاط يَوْم وَلَيْلَة خير من صِيَام شهر وقيامه وان مَاتَ اجرى عَلَيْهِ عمله الذى كَانَ يعمله واجرى عَلَيْهِ رزقه وَأمن الفتان) رواه مسلم

الصنف الرابع: من مات يوم الجمعة أو ليلتها عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " ما من مسلم يموت يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر "

الصنف الخامس: غير المكلفين كالصغير والمجنون فإنهما لا يفتنون على القول الصحيح لان الفتنة متعلقة بالتكليف، وهما غير مكلفين.

**ثانياً: عذاب القبر ونعيمه:** يقول ابن أبي العز شارح الطحاوية: " وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، بل إن الشرع قد يأتي بما تحار فيه العقول.."

**الأدلة على عذاب القبر ونعيمه:** نص أهل العلم على تواتر أدلة عذاب القبر ونعيمه منهم ابن تيمية وابن رجب وابن أبي العز وغيرهم.

**الأدلة من الكتاب على عذاب القبر:**

الأول: قوله تعالى: (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ – النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) [غافر: ٤٥-٤٦] . قال ابن كثير( هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور)

الثاني: قوله تعالى: (ولو ترى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) [الأنعام: ٩٣] وخطاب الملائكة للكفار وتعذيبهم في حال الاحتضار كما تدل عليه الآية

الثالث: قوله تعالى: (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) [التوبة: ١٠١] .

والآية تدل على أن هناك عذابين سيصيبان المنافقين قبل عذاب يوم القيامة، العذاب الأول ما يصيبهم الله به في الدنيا إما بعقاب من عنده وإما بأيدي المؤمنين، والعذاب الثاني عذاب القبر، وقد فسرها بهذا الحسن البصري واختاره الطبري وأن إحدى المرتين عذاب القبر.

**والأدلة من السنة:**

الأول: روى البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما غربت الشمس، فسمع صوتاً، فقال: يهود تعذب في قبورها "

الثاني: روى البخاري " أن يهودية دخلت على عائشة رضي الله عنها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها:

أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة الرسول صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر، فقال: نعم، عذاب القبر حق قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدُ صلى إلا تعوذ من عذاب القبر " زاد غندر: " عذاب القبر حق "

الثالث: قال صلى الله عليه وسلم( إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم.. وذكر منها.. ومن عذاب القبر) رواه البخاري.

**مسألة: هل العذاب أو النعيم خاص بمن دفن وقبر؟**

الجواب: عام لكل من مات، قال ابن أبي العز: " واعلم أن عذاب القبر وعذاب البرزخ حق، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور، وما ورد من إجلاسه، واختلاف أضلاعه ونحو ذلك، فيجب أن يفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير "

**مسألة: لماذا أضيف العذاب والنعيم للقبر؟**

(وأضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاة يعذب بعد موته ولو لم يدفن ولكن ذلك محجوب عن الخلق إلا من شاء الله) كما قال ذلك ابن حجر رحمه الله

**مسألة: هل عذاب القبر ونعيمه خاص بالروح أم البدن أم كليهما؟**

قال ابن تيمية رحمه الله "الْعَذَاب وَالنَّعِيم على النَّفس وَالْبدن جَمِيعًا بِاتِّفَاق أهل السّنة وَالْجَمَاعَة تنعم النَّفس وتعذب مُنْفَرِدَة عَن الْبدن وتنعم وتعذب مُتَّصِلَة بِالْبدنِ وَالْبدن مُتَّصِل بهَا فَيكون النَّعيم وَالْعَذَاب عَلَيْهِما فِي هَذِه الْحَال مُجْتَمعين كَمَا تكون على الرّوح مُنْفَرِدَة عَن الْبدن"

وقال:" مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم والعذاب"

ومما يدل لذلك الاحاديث التي فيها عود الروح إلى البدن كما جاء في حديث البراء وفيه" فتعاد روحه في جسده" ومنها" تختلف أضلاعه لضمة القبر" ومنها" فيقعدانه" وهذه صفات من صفات الأجساد كما قال ذلك ابن حجر.

**مسألة: هل عذاب القبر دائم أم منقطع؟**

الجواب/ عذاب الكافر لا شك أنه دائم ودليل ذلك قوله تعالى(وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ – النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)

وأما عذاب عصاة الموحدين فمنه ما هو دائم ومنه ما هو منقطع.

وقد ينقطع بسبب كدعاء أحد له أو لحسنة فعلها في حياته كصدقة جارية.

وقد يستمر العذاب عليه ويدوم والأدلة على استمرار العذاب في حق بعض العصاة بعض الأحاديث منها:

الأول :ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يجز إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة" رواه البخاري وعند مسلم" فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة"

الثاني: حديث سمرة الطويل في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وفيه" وأما الَّذِي رَأَيْته يشق شدقه فكَذَّاب يحدث بالكذبة فَتحمل عَنهُ حَتَّى تبلغ الْآفَاق فيصنع بِهِ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة والذى رَأَيْته يشدخ رَأسه فَرجل علمه الله الْقُرْآن فَنَامَ عَنهُ بِاللَّيْلِ وَلم يعْمل بِهِ بِالنَّهَارِ يفعل بِهِ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة" الشدق/ طرف الفم

**مسألة/ المقصود بعذاب البرزخ ونعيمه؟**

عذاب البرزخ ونعيمه اسم لعذاب القبر ونعيمه ، قال ابن القيم: " عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: (وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [المؤمنون: ١٠٠] . وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة ".

**مسألة/ ما الحكمة من عدم إطلاع العباد على عذاب القبر؟**

ذكر الشيخ ابن عثيمين بعض الحكم

أولًا: ما أشار إليه النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله: "لولا أن لا تدافنوا؛ لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر"

ولأهل العلم عدة تفسيرات لهذا الحديث:

الأول: لولا خشيتي عليكم من أن لا تدفنوا موتاكم خوفاً عليهم من العذاب. وهذا ليس بقوي لأن الصحابة يعلمون أن العذاب واقع حصل أم لم يحصل.

الثاني: لولا خشيتي من أن لا تدفنوا موتاكم من خوفكم لقربان المقابر من أصوات التعذيب فيها.

الثالث: لولا خوفي عليكم من موتاكم من شدة ما تسمعون من العذاب لدعوت الله أن يسمعكم من

العذاب فتكون (لا) زائدة.

ثانيًا: أن في إخفاء ذلك سترًا للميت.

ثالثًا: أن فيه عدم إزعاج لأهله؛ لأن أهله إذا سمعوا ميتهم يعذب ويصيح؛ لم يستقر لهم قرار.

رابعًا: أننا قد نهلك؛ لأنها صيحة ليست هيئة، بل صيحة توجب أن تسقط القلوب من معاليقها، فيموت الإنسان أو يغشى عليه.

خامساً: لو سمع الناس صراخ هؤلاء المعذبين؛ لكان الإيمان بعذاب القبر من باب الإيمان بالشهادة، لا من باب الإيمان بالغيب، وحينئذ تفوت مصلحة الامتحان؛ لأن الناس سوف يؤمنون بما شاهدوه قطعًا؛ لكن إذا كان غائبًا عنهم، ولم يعلموا به إلا عن طريق الخبر؛ صار من باب الإيمان بالغيب)

**أسباب عذاب القبر**: " الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور على قسمين: مجمل ومفصّل، أمّا المجمل فسائر الذنوب والمعاصي لقوله تعالى( ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا"

أما المفصل فإن النصوص ذكرت منه الكثير وسنشير لبعضها:

الأول والثاني :عدم الاستتار من البول والنميمة، روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " مرّ النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين، فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أمّا أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله، ثم قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: لعله يخفف عنهما، ما لم ييبسا "

الثالث: الغلول: ومن الذنوب التي يعذب صاحبها في القبر الغلول، وقد صح في ذلك أكثر من حديث، فعن أبي هريرة، قال: أهدى رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً يقال له: مِدْعم، فبينما مدعم يحط رحلاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أصابه سهم عائر ، فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "كلا، والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه ناراً ". فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " شراك من نار أو شراكين من نار " متفق عليه.

الرابع: جر الإزار خيلاء ودليله الحديث السابق الذي مر معنا حديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يجز إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة" رواه البخاري وعند مسلم" فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة"

الخامس والسادس التحديث بالكذبة التي تبلغ الآفاق وتعلم القرآن والنوم عنه وعدم العمل به ودليله حديث

سمرة الطويل في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وفيه" وأما الَّذِي رَأَيْته يشق شدقه فكَذَّاب يحدث بالكذبة فَتحمل عَنهُ حَتَّى تبلغ الْآفَاق فيصنع بِهِ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة والذى رَأَيْته يشدخ رَأسه فَرجل علمه الله الْقُرْآن فَنَامَ عَنهُ بِاللَّيْلِ وَلم يعْمل بِهِ بِالنَّهَارِ يفعل بِهِ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة"

**مسألة: أسباب الوقاية من عذاب القبر:**

سبب مجمل فعل سائر الحسنات قال تعالى( ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون) فسرها مجاهد بالقبر.

أسباب مفصلة وهذه قد جاءت في النصوص:

السبب الأول: الشهادة في سبيل الله فعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم" للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة، ويرى معقده من الجنة، ويجار من عذاب القبر.."رواه الترمذي وصححه

السبب الثاني: من مات بداء البطن قال صلى الله عليه وسلم( من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره) رواه النسائي وداء البطن منهم من قال هو انتفاخ يصيب البدن يؤدي إلى الوفاة، ومنهم من قال إنه إسهال يصيب البطن يؤدي إلى الوفاة والأظهر الأول وهو أنه عام في كل مرض يصيب البطن فيؤدي إلى الوفاة.

السب الثالث: قراءة سورة تبارك كل ليلية قال صلى الله عليه وسلم من قرأ تبارك الذي بيده كل يليلة منعه الله من عذاب القبر وكنا في عهد رسول الله صلى نسميها المانعة.

السبب الرابع: كثيرة الاستعاذة من عذاب القبر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ من عذاب القبر .

**مسألة/ المخالفون في عذاب القبر والرد عليهم.**

ذهب الخوارج وبعض المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر بالكلية

**الرد عليهم:** عذاب القبر ونعيمه قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع وقد تقدمت الأدلة عليه فلا يجوز إنكاره ولهؤلاء **شبهه عقلية:** وهي أنهم يقولون إن تعذيب الميت محال لأنه جماد لا حياة له ولا إدراك وهو محال لأنهم لم يدركوه بحس ولا مشاهدة، ويقولون أنهم لم يجدوا ملائكة يضربون بمطارق من حديد ويعذبون الناس.وهؤلاء أشبه بالذين لا يعترفون إلا بالمحسوسات والذين ينكرون ما لا تدركه حواسهم.

**ويرد عليهم من وجوه:**

أولاً: أن الله أخفى ما في القبر من العذاب لحكم عظيمة، ولأنه يترتب على إطلاع العباد على ما في القبر

من العذاب عدة مفاسد:

١. عدم التدافن لقوله صلى الله عليه وسلم" لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر" أخرجه مسلم لذلك قال ابن القيم(والعبد أضعف بصراً وسمعاً من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر، وكثير ممن أشهده الله ذلك صعق وغشي عليه ولم ينتفع بالعيش زمناً وبعضهم كشف قناع قلبه فمات)

٢.انتفاء حكمة الإيمان بالغيب وهي حدوث التمايز بين المؤمنين به والكافرين قال ابن القيم( جعل الله أمر الآخرة وما كان متصلاً بها غيباً وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار وذلك من كمال حكمته وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم)

ثانياً: إن قياس أحوال البرزخ بأحوال الدنيا غير صحيح لأنه قياس لأمر أخروي غيبي بأمر دنيوي حسي وهذا قياس فاسد لاختلاف ما بين الدارين، فما يقع في دار البرزخ ليس من جنس المعهود لنا في دار الدنيا وإن اتفقت الأسماء.

ثالثاً: عدم الوجدان لا يعني عدم الوجود وهذا دليل على قصور العقل ومحدودية إدراك البشر.

ومما يثبت قصور العقل وعدم إدراكه لكل شيء على التمام والكمال **وجود الجن والشياطين والملائكة والروح وهي عوالم غيبية** أخبرنا الوحي من شأنها الكثير ويعجز الإنسان عن إدراك الكثير من شأنها، فإذا كان الأمر كذلك فعجزه عن إدراك عالم البرزخ من باب أولى.

وأيضاً مما يدل على قصور العقل أن **هناك مخلوقات موجودة نلمس أثرها ولا نراها بأعيننا المحدودة كالموجات الصوتية والتيار الكهربائي.**

ومما يدل لذلك أيضاً **وجود اللذة أو الألم عند النائم أو اليقظان دون شعور الآخرين** بها يدل على قصور القدرات البشرية عن إدراك كل شيء على التمام والكمال.

**رابعاً: إن أحوال البرزخ ليست من الغيب الكلي** فإذا كان المنكرون لم يشاهدها فقد شاهدها غيرهم من بني الإنسان إذ إنها من الغيب النسبي.

## حكم إهداء ثواب الأعمال إلى الأموات:

تنبيهان:

– لم يكن من عمل السلف إهداء الحسنات لجميع المسلمين.

– لا بد من التفريق بين القراءة الاحتسابية –وهي التي فيها الخلاف– وبين استئجار القرَّاء لقراءة القرآن للميت؛ فهذا لا ثواب للميت فيها قطعاً؛ لفقد هذه القراءة شرط الإخلاص، وهكذا الشأن في سائر

العبادات.

**تحرير محل النزاع: يتضح بمعرفة المسائل المتفق عليها قبل عرض محل النزاع والخلاف:**

**فالمسائل المتفق عليها:**

١. اتفق العلماء على انتفاع الميت المسلم بدعاء إخوانه المسلمين.

٢. اتفق العلماء على وصول ثواب الصدقة عن الميت.

وقد خالف المعتزلة في هذه المسألة؛ فرأوا أن الميت لا ينتفع بعد موته بشيء البتة، لا بدعاء ولا صدقة ولا غير ذلك.

٣. اتفق العلماء على انتفاع الميت بقضاء الدين عنه.

٤. نقل الاتفاق على صحة الحج عن الميت وانتفاعه به.

٥. اتفق العلماء على عدم جواز إهداء الإيمان لمن لم يكن مؤمناً.

٦. اتفق العلماء على عدم جواز إهداء أعمال القلوب.

**أما الجانب المختلف فيه:** فهو المسألة الخلافية الشهيرة بين العلماء؛ وهي حكم إهداء العبادات البدنية- من صلاة وذكر وقراءة قرآن- للأموات.

والخلاف في هذه المسألة يرجع إلى قولين:

القول الأول: لا يجوز إهداء العبادات البدنية للأموات.وهذا مذهب المالكية، والشافعية.

القول الثاني: يجوز إهداء العبادات البدنية للأموات.وهذا مذهب الحنفية، والحنابلة، ونصره ابن القيم.

والذي يظهر من مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية أنه يرى الجواز مع الكراهة.

من أدلة القول الأول:

١- قوله تعالى: (وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى) [النجم:٣٩].

ومعنى الآية أنه (( ليس له إلا أجر سعيه وجزاء عمله، ولا ينفع أحداً عمل أحد )).

٢- قوله عليه الصلاة والسلام: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة)

ووجه الدلالة منه: أنه عليه الصلاة والسلام أخبر بانتفاع الميت بما تسبب فيه في حياته، وأما غيره فهو منقطع عنه؛ وعليه فلا يصح أن يُهدى إليه شيء سوى ما ورد الإذن به.

٣-أن هذا الإهداء لم يفعله الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه ولم يهملوه، ولو فعلوه لنُقل إلينا.

من أدلة القول الثاني:

١- استدلوا بالأدلة التي فيها إثبات انتفاع الميت بدعاء المؤمنين.

٢- استدلوا بأدلة من السنة تدل على صحة نيابة الحي عن الميت في بعض العبادات وانتفاعه بسعيه.

٣- وعللوا قولهم بتعليل صاغه ابن القيم رحمه الله بقوله: ((فإن الثواب حقٌ للعامل؛ فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يُمنع من ذلك كما لم يُمنع من هبة ماله له في حياته وإبرائه له من بعد موته)).

**الترجيح:** القول الأظهر فيما يظهر لي والله أعلم القول الأول.

سبب الترجيح أمور:

أ- أن القاعدة الشرعية المطردة أن باب الطاعات بابٌ توقيفي يُقتصر فيه على المنصوص.

ب- أن هذا القول موافق للقاعدة المستقرة: أن ثواب الإنسان إنما يكون على عمله، كما أن عقابه يكون عليه.

ويؤيد هذا: أن سؤال الصحابة عن جواز القيام بالأعمال الواردة في الأحاديث عن موتاهم دليلٌ على ما ترسَّخ في أذهانهم من أنه لا يثاب الإنسان إلا على عمله.

## أهم أشراط الساعة الصغرى والكبرى مع الأدلة وخطأ الانحراف في تنزيلها

الأشراط لغة : جمع شَرَط بالتحريك، والشرط العلامة، وأشراط الساعة أي علاماتها.

أشراط الساعة اصطلاحا: هي العلامات التي تسبق يوم القيامة وتدل على قدومها.

والساعة: هي القيامة وهو الوقت الذي تقوم فيه القيامة، والنصوص استعملت الساعة في القيامة قال تعالى(اقتربت الساعة) وقد سميت الساعة ساعة لسرعة الحساب فيها، وقيل : لأنها تفاجئ الناس في ساعة واحدة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة.

**مسألة: قرب قيام الساعة:** دلت النصوص على قرب قيام الساعة قال تعالى (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ) [القمر: ١] ، وانشقاق القمر إحدى الأمارات الدالة على قرب وقوعها وقال سبحانه وتعالى (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ - مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ - لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ) [الأنبياء: ١-٣] وقال تعالى( وما يدريك لعل الساعة قريب)

ولذا فإنه قد كثر في القرآن تحذير العباد من الساعة، والأمر بالاستعداد لها، وعبر عنها بالغد، وهو اليوم التالي لليوم الذي تعيش فيه (وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) [الحشر: ١٨] .

وعن سهل الساعدي رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بأصبعيه هكذا بالوسطى

والتي تلي الإبهام فقال" بعثت أنا والساعة كهاتين" متفق عليه

**مسألة: استئثار الله بعلم الساعة والحكمة في ذلك:** علم الساعة مما استأثر الله سبحانه وتعالى به لنفسه، فمنعه جميع خلقه، فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل. وفي ذلك من الحكم العظيمة التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

وقد دلت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة على اختصاص الله عزَّ وجلَّ بعلم الساعة كما قال تعالى:

{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}

وقوله تعالى: {إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ}

وقال تعالى: {وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}

والنصوص في هذا المعنى كثيرة جدًّا.

سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الساعة، فقال: " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل " **وقد صرح القرآن أن وقت وقوعها من خصائص علم الله، ولذا فإنه لم يطلع أحداً على وقت وقوعها، لا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً،** (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) [الأعراف: ١٨٧] ، وقال في الآية الأخرى: (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) [الأحزاب: ٦٣] ، (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا – فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا – إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا) [النازعات: ٤٢-٤٤] .

وهذه الآيات واضحة الدلالة على أن معرفة الوقت الذي تكون فيه الساعة لا يعرفه إلا رب العزة، وأنها تأتي بغتة، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يدري متى هي.

والساعة إحدى مفاتح الغيب الخمسة التي هي من مكنونات علم الله (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [لقمان: ٣٤] .

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا هذه الآية (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) " [لقمان: ٣٤]

وقد ذكر العلماء – رحمهم الله – بعض الحكم من إخفاء الله علم الساعة عن خلقه.

١):فمنها بيان عظمة الله عزَّ وجلَّ، وأنه لا يساويه أحد في علمه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

٢):ومنها الرد على من زعم قدرته على معرفة وقت الساعة بواسطة الحساب أو نحو ذلك بأن علمها قد حجب على الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين فكيف بمن دونهم.

٣):ومنها أن في إخفاء وقتها رحمة للعباد حتى يستعدوا لها ويتأهبوا بالعمل الصالح والتوبة النصوح، كما أن إخفاء وقت الموت وهو الساعة الصغرى أصلح للعباد حتى يستعدوا له بالعمل الصالح.

٤):ومنها أن في ذلك امتحان لإيمان الناس بخبر الله وخبر رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وينبني على ذلك الأجر العظيم لمن آمن باليوم الآخر وإيمانه به مؤثر على عمله في الدنيا.

هذا بعض ما ذكره العلماء وهو ولا شك ليس كل الحكم، وإنما بعضها والله أعلم

**أقسام أشراط الساعة:** درج أهل العلم على تقسيم أشراط الساعة إلى قسمين:

١ – أشراط صغرى: وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة كقبض العلم وظهور الجهل والتطاول في البنيان وغيرها من الأشراط الصغرى.

٢ – أشراط كبرى: وهي العلامات الكبيرة التي تظهر قرب قيام الساعة مثل: خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وغير ذلك من العلامات الكبرى التي سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى.

وأقرب ضابط للتفريق بين القسمين هو ما روى مسلم عن حذيفة بن أسيد قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال" ما تذاكرون؟ قالوا نذكر الساعة قال:" إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات" فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم" فهذه العلامات التي ذكرت في حديث حذيفة كبرى وما سواها صغرى وذلك لأنه يجمعها أمرين اثنين:

الأمر الأول: أن مثل هذه العلامات غير معتادة الوقوع ففيها نوع غرابة.

الأمر الثاني: أنها متتابعة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" الأمارات خرزات منظومات بسلك فإذا انقطع السلك تبع بعضه بعضاً"

**بعض أمثلة أشراط الساعة الصغرى وأدلتها:** وهي كثيرة:

١. بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ... قال – صلى الله عليه وسلم – ( بعثت أنا والساعة كهاتين )، ويشير بإصبعيه فيمدهما . صحيح البخاري–كتاب الرقاق

٢. موت النبي صلى الله عليه وسلم ... قال – صلى الله عليه وسلم – ( أعدد ستاً بين يدي الساعة : موتي

.....) . صحيح البخاري – كتاب الجزية والموادعة.

٣ انشقاق القمر: اتفق العلماء على أن القمر قد انشق في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن انشقاقه إحدى المعجزات الباهرات وقد صرح القرآن بهذا في قوله تعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ – وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) [القمر: ١-٢] .

قال النووي: " قال القاضي: انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم، مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها.

وقد ساق ابن كثير الأحاديث الواردة في انشاق القمر في تفسير سورة القمر، وهي أحاديث صحيحة كثيرة وقد ساقها مسلم في صحيحه، ومنها حديث أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين.

ومنها حديث عبد الله بن مسعود قال: " انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اشهدوا، اشهدوا " وفي رواية أخرى عنه، قال: " بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشهدوا "

٤. استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة ... قال – صلى الله عليه وسلم – ( لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبله منه صدقة ويدعى إليه الرجل فيقول : لا أرب لي فيه) صحيح البخاري – كتاب الفتن .

٥.ظهور الفتن قال – صلى الله عليه وسلم – ( إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ..) مسند أحمد

٦.ظهور مدعي النبوة ... قال – صلى الله عليه وسلم – ( لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله) البخاري– المناقب.

٧.ظهور الشرك في هذه الأمة قال – صلى الله عليه وسلم – (ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان)سنن أبي داود

٨.قبض العلم وظهور الجهل قال – صلى الله عليه وسلم – ( من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ) صحيح البخاري –كتاب العلم .

**أشراط الساعة الكبرى:** أشراط الساعة الكبرى هي الواردة في حديث حذيفة السابق وهي الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

**مسألة: هل أشراط الساعة الكبرى مرتبة؟**

الجواب: أولاً: يقال:ليس هناك نص صريح يبين ترتيب أشراط الساعة الكبرى حسب وقوعها وإنما جاء ذكرها في الأحاديث مجتمعة بدون ترتيب، وترتيبها في الذكر لا يقتضي ترتيبها في الوقوع لأنها جاءت بحرف العطف الواو، وهذا الحرف لايقتضي الترتيب ومما يدل أن ذكرها في الحديث لا يدل على الترتيب، وجود نص آخر خالف ترتيب النص الآخر عن صحابي واحد فمثلاً حديث حذيفة بن أسيد قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال" ما تذاكرون؟ قالوا نذكر الساعة قال:" إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات" فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم" رواه مسلم

وهناك رواية أخرى عند مسلم عن حذيفة بلفظ آخر وهو:" إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدخان والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس" وفي رواية" والعاشرة نزول عيسى بن مريم" فهذا حديث واحد عن صحابي واحد جاء بلفظين مختلفين في ترتيب الأشراط وهذا يدل على أن ترتيبها في الذكر لا يقتضي ترتيبها في الوقوع.

ثانياً: أن بعض أشراط الساعة الكبرى علمنا ترتيبها من خلال النظر في مجموع النصوص الأخرى وذلك أن بعض أشراط الساعة أحداثها مرتبط بعضها ببعض

فمثلاً أول هذه العلامات: خروج الدجال ثم خروج عيسى بن مريم عليه السلام، ثم خروج يأجوج ومأجوج، وذلك أنه إذا خرج الدجال ينزل عيسى عليه السلام لقتله، ثم بعد ذلك يخرج يأجوج ومأجوج، فيهلكه الله ببركة دعاء عيسى عليه السلام والمؤمنين.

وأخر تلك العلامات النار التي تحشر الناس فهي آخر العلامات والأشراط ظهوراً كما دل على الحديث السابق وفيه" وآخر ذلك نار تحشر الناس.."

وأما الستة الأشراط الباقية فالله أعلم بترتيبها لكن طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة علامتان متتاليتان لما روى مسلم قال صلى الله عليه وسلم" إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً"

**أشراط الساعة الكبرى: العلامات الكبرى:**

**١- ظهور المهدي:** ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الله تبارك وتعالى يبعث في آخر الزمان خليفة يكون حكماً عدلاً، يلي أمر هذه الأمة من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم من سلالة فاطمة، يوافق اسمه اسم الرسول صلى الله عليه وسلم، واسم أبيه اسم أبي الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد وصفته الأحاديث بأنه يملأ الأرض عدلاً، بعد أن ملئت جوراً وظلماً، ومن الأحاديث التي وردت في هذا:

عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي " رواه الترمذي وأبو داود، وفي رواية لأبي داود: قال: " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم، حتى يبعث الله فيه رجلاً مني – أو من أهل بيتي – يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً "

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المهدي من عترتي من ولد فاطمة " رواه أبو داود وابن ماجة والحاكم .

**وأحاديثه قد بلغت حدّ التواتر المعنوي.** والمهدي الذي يثبته أهل السنّة ليس هو مهديّ الرافضة الذين يزعمون أنه في سِرداب سامرّاء موجود وسيخرج في آخر الزمان.

**٢-خروج المسيح الدجال:**فتنة الدجال من أشراط الساعة الكبرى، وفتنته من أعظم الفتن التي تمر على البشرية عبر تاريخها، ففي صحيح مسلم عن عمران بن حصين، قال سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ما بين خلقِ آدمَ إلى قيام الساعة خلقٌ أكبرُ من الدجال "، وفي رواية: " أمرٌ أكبرُ من الدجال " من أجل ذلك فإن جميع الأنبياء حذروا أقوامهم من فتنة، ولكن رسولنا صلى الله عليه وسلم كان أكثر تحذيراً لأمته منه، قال صلى الله عليه وسلم قال: " الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر " وقال صلى الله عليه وسلم " إن معه ماء وناراً، نارُه ماءٌ بارد وماؤه نار " وقال صلى الله عليه وسلم" إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، إنه أعور وإن الله ليس بأعور "

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر "

وعقيدة أهل السنة والجماعة فيه ما نقله النووي عن القاضي عياض: " هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى: من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى: ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى: بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم ويثبت الله الذين آمنوا " .

ولشدة أمره وفتنته فقد أمرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن نستعيذ من فتنته في دُبُر كل صلاة.

٣–**نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام** دلّت النصوص على أنه ينزل قبيل قيام الساعة، فيقتل الدجال ويكسر الصّليب ويحكم بالقسط ويقضي بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم ويحيي من السنة ما تركه الناس، ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يموت ويُصلّى عليه ويدفن كما يموت سائر الناس.

وقد تواتر بذلك الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وأجمع عليها العلماء ولم يخالف في ذلك إلا بعض أهل البدع.

**قال** سبحانه في عيسى عليه السلام: **{ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ }** وفي القراءة الأخرى : **{ وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ }** بفتح العين واللام؛ أي خروجه عَلَمٌ من أعلام الساعة؛ أمارة من أمارات الساعة.

٤–**خروج يأجوج ومأجوج**:دلّ على خروجهم قوله جلّ وعزّ: **{ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا }**.

وقوله سبحانه: **{ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ }**.

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل يومًا فزِعًا يقول: " لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه " – وحلّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها –. قالت زينب بنت جحش: فقلتُ: يا رسول الله، أنهلِكُ وفينا

الصالحون ؟. قال: " نعم، إذا كثُر الخَبَثُ ".

وجاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " لما كان ليلةَ أُسري برسول الله صلى الله عليه وسلم لقي إبراهيم موسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا الساعة " إلى أن قال: " فردُّوا الحديث إلى عيسى " فذكر قتل الدّجال ثم قال: " فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا بشيء إلا أفسدوه... ".

**وأما ما يتعلق بمكان وجودهم** : فالذي دلت عليه النصوص أنهم في سدٍّ بين جبلين في جهة المشرق، أما تحديدهم عينًا فلا يثبت فيه نصّ ولم يرِد فيه شيء، ولهذا يجب التوقف في ذلك.

وقد ثبت أيضا أنهم بعد أن يعيثوا في الأرض فسادًا ويتأذّى الناس منهم ومن وجودهم يأذن الله عزّ وجلّ بهلاكهم، ولهذا يصابون بنوع من المرض فيهلكون عن آخرهم، ثم يعيش الناس بعدهم عيشةً هنيئةً طيبة مباركة .

٥-**الدخان** : قال تعالى **{فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ }**

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الساعة: " إنها لن تقوم حتى ترَوْن قبلها عَشْرَ آيات، فذكر الدُّخَان، والدجال، والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوفٍ؛ خَسف في المشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم ".

٦-**طلوع الشمس من مغربها** وقد دل على ذلك قوله سبحانه **{ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ }**

قال النبي صلي الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، وإذا طلعت ورآها الناس آمن الناس أجمعون، فذلك حيث لا ينفع نفس إيمانها لم تكن ءامنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا "

٧- **خروج الدابة:** دابة تكلم الناس وتقسمهم مؤمنٌ وكافر، وذلك عند فساد الناس وتركهم أوامر الله عز وجل والتقصير الواضح الظاهر في طاعته سبحانه وتعالى؛ قال تعالى {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ}

٨-**الخسوف الثلاثة:**قال صلى الله عليه و سلم " لن تقوم - أي الساعة - حتى تروا قبلها عشر آيات " و ذكر منها ثلاثة خسوف خسف بالمشرق و خسف بالمغرب و خسف بجزيرة العرب"

٩-**النار التي تحشر الناس في آخر الزمان:** في الحديث المتقدم " وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم ".

و في رواية: " نارٌ تخرج من قعر عدن ترحِّل الناس " رواه مسلم.

**بعد ذلك يأذن الله عز و جل** بانتهاء الخليقة وانتهاء هذا العالم السفلي لتبدأ رحلة الآخرة الكبرى:

قال صلى الله عليه وسلم: " لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق "

وقال صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله يبعث ريحا من اليمن ألْيَن من الحرير فلا تدع أحدًا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته ".

وقال صلى الله عليه وسلم: " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله.. الله "

وفي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان يرفعه: " فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبةً فتأخذهم تحت آباطِهم فتقبض روح كل مؤمن – أو: كل مسلم – و يبقى شرار الناس يتهارجون تهارُج الحُمُر فعليهم تقوم الساعة "

وقال صلى الله عليه وسلم: " يذهب الصالحون الأول فالأول و تبقى حثالةٌ كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله باله "

وثبت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو: " ثم يرسل الله ريحا باردةً من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو كان أحدهم دخل في كبد جَبَلٍ لَدخلته عليه حتى تقبِضه " ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه و سلم: " فيبقى شرار الناس في خفّة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون ؟ فيقولون: ما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الاوثان وهم في ذلك دارَّةٌ أرزاقُهم حسنٌ عَيْشُهم، ثم ينفخ في الصور ".

**خطأ الانحراف في تنزيل أشراط الساعة** : منهج السلف الصالح -من أهل السنة والجماعة-؛ عند حلول الفتنة، عدم تنزيل أحاديثها على واقع حاضر، وإنما يتبين ويظهر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أنبأ وحدث به أمته من حدوث الفتن عقب حدوثها واندثارها، مع تنبيه الناس وتحذيرهم من الفتن عامة، ومن تطبيقها على الواقع الحالي خاصة ، وينبني على هذا أنه لا يجوز للمسلم أن يحكم بإسقاط أحاديث الفتن على أحداث آخر الزمان بمجرد التخمين، بل لابد من أن يكون ذلك مبنيا على ضوابط شرعية، فإن عدم رعايتها يوقع في أخطار جسيمة، تكون لها عواقب وخيمة في حياة الأمة المسلمة، فن ذلك

١-تعريض نصوص الكتاب والسنة للتكذيب :فإن تنزيل بعض النصوص على بعض الواقع يعرضها

للتكذيب، خاصة إذا كان الأمر المنزل عليه غير متفق على مصداقيته، بل هو في دائرة البحث والظن.

ومن ذلك ماحصل من تنزيل مثلثي برمودا وفورموزا على الدجال وأنه قابع هناك، فماذا سيكون الحال إذا تم اكتشاف أن ماذكر حول هذين المثلثين غير صحيح، أو تم الوصول إليهما، وبان للناس أن المشكلة ليست في المثلث، لاشك أن هذا سيجعل النصوص معرضة للتكذيب .

٢ــ تحريف النصوص عن معانيها، وإخراجها عن مراد المتكلم بها، ومعارضتها بالرأي : حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله:( يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً ) وفي رواية :( لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو ) رواه مسلم

فهذا الحديث قد أخرجه بعض المعاصرين عن معناه أمثال محمد فهيم أبو عبية وزعموا أن المراد بالذهب في الحديث هو البترول والنفط

٣ــ القدح في قضايا العقيدة والمغيبات : الإيمان بالغيب من أبرز صفات المؤمنين، وهو أول صفة وصف الله بها المؤمنين، قال تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ [ البقرة : ٣] ، ومن لم يؤمن بالغيب فإنه يتخبط بعقله في متاهات لن يصل من ورائها إلى شيء .

ونصوص الفتن وأشراط الساعة من الغيب الذي يجب الإيمان به واعتقاد ما ورد فيها، وهذا هو الذي قرره أهل السنة والجماعة عند إيرادهم لنصوص الفتن وأشراط الساعة

٤ــ الوقوع في إشكالات وتناقضات : فإن من لم يثبت على قدم واحدة وواضحة في التعامل مع النصوص، سوف يقع في إشكالات وتناقضات، وهذا هو الذي حصل من بعض الكتاب ومنهم على سبيل المثال :

أــ الأستاذ منصور عبدالحكيم : فقد حذر من قضية إسقاط النصوص على الأحداث والشخصيات ثم نجده قد ملأ عدداً من كتبه بالتنزيلات والاسقاطات، ومن ذلك كما سبق أن الدجال يركب طبقاً طائراً أو أو طائرة ذات مواصفات خاصة.

وقد وقع الأستاذ في حيرة واضطراب فلم يجد ما ينزل عليه خوارق الدجال إلا أفلام الرسوم المتحركة والتي تسمى (أفلام الكرتون) يقول : ( وأفلام الكرتون تصور لنا مثل هذه الرؤى عن الدجال لأنها تمهيد طبيعي لأطفال اليوم، الذين هم رجال الغد ووسائل مواصلات الدجال )

ب_ أسامة يوسف رحمة : فقد كان يرى أن الولايات المتحدة الأمريكية هي المقصودة بالروم في أحاديث الملاحم، ثم غير المؤلف رأيه بسبب تغير الأحداث السياسية في العالم، وأصبح يرى أن دول الاتحاد الأوربي

هم الروم وبقي المؤلف في حيرة من أمره أي الاحتمالين هو الصواب

٥_ التعدي على الحرمات، وإزهاق الدماء المعصومة : وهذا الأثر يتضح من خلال قضية المهدي والتي نزلت على أشخاص بأعيانهم على مدار التأريخ .

ومن أقرب الأمثلة على ذلك ماسبق من حادثة الحرم المكي عام ١٤٠٠هـ، حيث دفع البعض تفسير النصوص وحملها على الحوادث المعاصرة إلى الوقوع في هذه لفتنة العظيمة مما ترتب عليه مفاسد كبيرة منها :

- انتهاك حرمة البلد الأمين وبيت الله الحرام .
- انتهاك حرمة الشهر الحرام حيث وقعت في شهر محرم .
- انتهاك حرمة دماء المسلمين .
- تعطيل للذكر والأذان والصلاة والطواف والسعي وغيرها من العبادات المتعلقة بالبيت الحرام .
- ترويع المسلمين في البلد الحرام .

٦_ التوصل إلى نتائج خاطئة :ومن ذلك ذم الأشخاص أو البلدان، أو توقع لأحداث.

ومن أمثلته : ماقام به الأستاذ أمين محمد جمال حين اعتقد أن أرض العراق مذمومة، وأن شعبها مذموم ومتأصل فيهم النفاق على مدار التاريخ والأيام إلى يوم القيامة، يقول في أحد عناوينه محذراً من العراق وأهلها : (إياك والعراق وأرضها وشعبها )

وقال بعد أن أورد حديث ( ألا إن الفتنة هاهنا ): ( والمقصود بالمشرق هنا العراق وأرضه وشعبه ). وقال في نهاية هذا التوجيه :( إياك ياعبدالله ثم إياك والعراق أرض النفاق )

والسبب فيما وصل إليه الأستاذ هو الفهم الخاطيء للحديث، ثم التسرع في التنزيل دون رجوع لأقوال أهل العلم .

## النفخ في الصور:

النفخ: هو إخراج الهواء من باطن الإنسان

والصور: (قرن ينفخ فيه) سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصور فقال:"قرن ينفخ فيه" والصور كهيئة البوق

والنافخ فيه إسرافيل عليه السلام وجاء في تسميته في حديث الصور الطويل والحديث ضعيف ،ولكن أجمع العلماء على أن إسرافيل هو النافخ في الصور كما حكى ذلك القرطبي والحليمي.

**جاء في الأحاديث تسمية النافخ في الصور:**

١.بصاحب القرن قال رسول الله ﷺ: (كيف أنعم وصاحب القَرْن قد التقم القَرْن، واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ) رواه الترمذي وصححه الشيخ الألباني.

٢.وسمي بصاحب الصور : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش ، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان " رواه الحاكم وصححه الشيخ الألباني لأنه يخشى أن يأتيه الأمر من الله بالنفخ في أثناء طرفه.

**وقوع النفخ بغتة:** هذه النفخة لا يبقى معها أحد ولا تمهل أحداً فهي سريعة وشديدة كما قال تعالى: {مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ } لسرعتها وشدتها وفُجَاءَتها فإنهم لا يمهلون أن يوصوا أو يرجعوا إلى أهليهم فيودعوهم . قال صلى الله عليه وسلم: " ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً " – والليت: العنق – قال: " وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله " قال : " فيُصعق ويُصعق الناس " .

وقال صلى الله عليه وسلم قال" ولتَقُومنَّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتَقُومنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لِقْحَتِه فلا يطعمه، ولتَقُومنَّ الساعة وهو يَلِيط حوضه فلا يسقي فيه، ولتَقُومنَّ الساعة وقد رفع أحدكم أُكلته إلى فيه فلا يطعمها ".

ومعنى يلوط حوض إبله أي يصلحه.

**عدد النفخات في الصور:** اختلف العلماء في ذلك على أقوال:

القول الأول: أنها ثلاث نفخات، نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث وذهب إليه جماعة من أهل العلم كابن العربي المالكي وشيخ الإسلام وابن كثير وغيرهم.

واستدلوا بقوله تعالى(وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ)

احتجوا ببعض الأحاديث التي نصت على أن النفخات ثلاث، كحديث الصور، وهو حديث طويل، أخرجه الطبري، وفيه: " ثم ينفخ في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين " والحديث ضعيف كما تقدم

القول الثاني: أنها نفختان ؛ للأدلة التالية:

١–قوله سبحانه: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ}؛ فهذه الآية صريحة أن النفخات نفختان فقط

٢- قوله سبحانه: { يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ } بمعنى أنهما متواليتان: الراجفة والرادفة.

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما بين النفختين أربعون "، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً ؟ قال : أبَيْتُ. قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : أبيت. قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبيت.

والصواب القول الثاني وأنهما نفختان يقول القرطبي " ونفخة الفزع هي نفخة الصعق، لأن الأمرين لازمين لها، أي: فزعوا فزعاً ماتوا منه "

**وقت النفخة الأولى:** يوم الجمعة؛ كما في صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم " خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم ، وفيه أُدخل الجنة ، وفيه أُخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة "

## .البعث

معناه: إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم للجزاء والحساب، وجاء في النصوص ألفاظ أخرى مرادفة للبعث كالنشور قال تعالى(وإليه النشور)

والبعث من أعظم الأمور التي أنكرها المشركون بعد التوحيد، وإنكارهم للبعث إنكاراً جازماً

والأدلة على إثبات البعث: قسمان:

**القسم الأول: أدلة شرعية** وهي في القرآن والسنة كثيرة:

١.قوله تعالى(زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير)

٢. قوله تعالى ( ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور)

٣.قوله تعالى( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

ومن السنة:

١.قوله صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي وقصته ناقته" اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبين ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً" متفق عليه. وغيرها من الأدلة

**القسم الثاني: أدلة شرعية عقلية** أرشد إليها القرآن:

١-الاستدلال بالبدء على الإعادة، فكما أنه أنشأهم أول مرة وأوجدهم من العدم لا يعجزه أن ينشئهم مرة

أخرى، ومعلوم أن النشأة الأخرى تكون أهون من النشأة الأولى.

قال تعالى (أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى )

٢-الاستدلال بخلق السماوات والأرض على البعث، فالذي يصنع الأمر العظيم لا يعسر عليه أن يصنع الأمر الذي دونه، قال تعالى: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ)

٣-الاستدلال بالمراحل التي يمر بها الإنسان، قال تعالى :( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير * وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور)

٤-الاستدلال بإحياء الأرض الميتة، قال سبحانه: { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }.

٥-الاستدلال بإحياء الأموات في الدنيا، إحياء الله للموتى في الدنيا دليلاً على البعث في يوم القيامة كما في الآيات الآتية:

١- قصة المار على تلك القرية :في قوله تعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ...)

٢- طلب إبراهيم من ربه مشاهدة إحياء الموتى في قوله تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٠

٣- موت بني إسرائيل الذين تنطعوا في إيمانهم واشترطوا لذلك أن يروا ربهم، فأخذتهم الصاعقة، ثم بعثهم الله ليريهم قدرته. قال تعالى﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ البقرة: ٥٥

٤- إخبار الله عن قتيل بني إسرائيل الذي أعاد الله إليه الحياة بعد ما قتل وأخبر عن قاتله معجزة لنبي الله موسى عليه الصلاة والسلام. ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ﴾

٥- إخبار الله تعالى عن إماتة آلاف الناس خرجوا من ديارهم حذر الموت، فأماتهم الله ثم أحياهم: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ).

**من أول من يُبعث؟** أول من تنشق عنه الأرض وأول من يبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفَّع " رواه مسلم.

**المنكرون للبعث طوائف:**

الطائفة الأولى: المنكرون مطلقاً وهم المشركون وبعض الفلاسفة وقد سبق ذكر بعض الأدلة على إنكار الكفار للبعث كما في قوله تعالى( زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا..) وقال تعالى( وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون)

الطائفة الثانية: المنكرون للمعاد الجسماني والمثبتون لمعاد الأرواح وهذا قال به طوائف من النصارى وبعض الفلاسفة المنتسبين للإسلام وهؤلاء كفرهم أهل العلم.

الطائفة الثالثة: المنكرون لبعث الأرواح والمثبتون لبعث الأجساد وهو مذهب بعض المتكلمين.

الطائفة الرابعة: القائلون بتناسخ الأرواح وهم البوذيون والهندوس وفرق الباطنية كالنصيرية والدروز وهؤلاء يقولون إن الروح لا ترجع إلى الجسد نفسه وإنما تنتقل من جسد إلى جسد حتى تصل إلى حد معين.

## الحشر

المراد بالحشر: هو سوق الناس من قبورهم جميعاً إلى الموقف.

**صفة الحشر:**

١- يحشر الله الناس جميعًا فلا يتخلف أحد، قال تعالى { وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا } ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ، وقال صلى الله عليه وسلم: (يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ويَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ والكَرْبِ ما لا يُطِيقُونَ ولَا يَحْتَمِلُونَ)

٢-يحشر الناس حفاة عراة غرلاً كما بدأ الله عز وجل أول خلق يعيده ، فيكونون حفاة: أي لا نعال ولا خفاف عليهم، وعراة: أي لا لباس عليهم.

وغرلاً: جمع أغرل وهو الذي لم يختن فتعود له تلك القلفة التي قطعت منه في صغره فيعود كما خلقه الله كامل الخلقة.قال تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً، ثم قرأ: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ))

قالت عائشة: يا رسول الله، الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال: " يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض ".

٣-يحشر الله الناس في الموقف وتدنو منهم الشمس قدر ميل في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فيشق على الناس هذا اليوم العظيم ويبلغ فيهم العرق مبلغاً عظيماً

قال صلى الله عليه وسلم: (تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى يكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه)

وذلك بحسب أعمالهم ولا ينجو من هذا العرق إلا من كتب الله له النجاة من ذلك، ومن هؤلاء السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

٤- إذا حُشِر الناس فإنه يطول مقامهم ويعظم كربهم، حتى إن الأمم تكون جاثية، ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ فتبلغ القلوب الحناجر، يرتفع القلب فيصل إلى حد الحناجر، كل امرئ له شأن يغنيه، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ .

**أقسام الناس في المحشر**: يأتي الخلائق إلى المحشر، على هيئات مختلفة؛ إما حسنة، وإما قبيحة، بحسب ما قدموا في الدنيا من أعمال.

١-حشر الكافر: قال تعالى ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ يسحب الكافر في المحشر على وجهه.

سأل رجل فقال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة. قال قتادة: بلى وعزة ربنا .

قال ابن حجر رحمه الله: (والحكمة في حشر الكافر على وجهه: أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا،

بأن يسحب على وجهه في القيامة؛ إظهارا لهوانه، بحيث صار وجهه مكان يده ورجله في التوقي عن المؤذيات).

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ يفقدون هذه الحواس، وهذا إنما يكون أول ما يُبعثون ثم تعود إليهم بعد ذلك حواسهم، وهذا ما يقتضيه الجمع بين الأدلة، فإنهم يتكلمون ويتحاجون في النار، ويسمعون جواب بعضهم وجواب الملائكة ، والله عز وجل يسألهم ويحاسبهم ويجيبون.

٢- حشر المتكبرين، قال صلى الله عليه وسلم: ((يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان))

٣- حشر السائلين، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما يزال الرجل يسأل الناس؛ حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم))

٤- حشر أهل الوضوء، قال صلى الله عليه وسلم: ((إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء))

٥- حشر الشهداء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب اللون لون دم، والريح ريح مسك))

وفي الجملة: يُحشر أهل الإيمان على أحسن حال، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ أي: مكرَمين. ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ أي: عطاشًا.

**صفة أرض المحشر**: الأرض تتبدل صفاتا وذاتًا، الأرض في صفاتها تتغير وهي في ذاتها تتغير.

الله يبدل هذه الأرض أرضا أخرى، يبدلها بأرضٍ نقيَّة لم يسفك عليها دم حرام كما قال سبحانه { يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}

قال صلى الله عليه وسلم: " يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقِي " رواه البخاري يقول سهل: " ليس فيها مَعْلَمٌ لأحد" و ذكر الخطابي معنى العفراء؛ يقول : " بياضها ليس بناصع " ومعنى كقرصة النقي: أي كقرصة خبز نقي سالم دقيقه من الغش والنخالة.

**أول من يحشر من الخلق**: قال صلى الله عليه وسلم: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر))

**أول من يكسى من الخلق**: قال صلى الله عليه وسلم: ((وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم))

**هل الدواب تحشر؟** الصحيح أن الدواب تحشر ودليل ذلك عدة أدلة منها:

الأول: قوله تعالى:" (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)

الثاني: قوله تعالى:" { وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ } وفي الحديث الذي رواه مسلم" حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء" تحشر فيُقتصّ من بعضها لبعض، وهذا من باب إظهار عدل الله عزّ وجلّ، ثم يأذن الله عز وجلّ بفَنائِها فتفنى وتكون تُرابا كما قال أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: " يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة؛ البهائم والطير والدوابّ وكل شيء فيبلغ من عدل الله أن يأخُذَ من الجمَّاءِ للقَمَّاء التي ليس لها قرون – ثم يقول كوني ترابا فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار: { وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا } .

**الحوض:** بعد أن يبلغ بالناس الكرب العظيم في أرض المحشر، ويعطشون عطشا شديدا، بسبب هول الموقف، وطول الوقوف، ودنو الشمس، وتزاحم الناس، وتدافع الخلائق: يمن المنان الكريم على عباده المؤمنين بالغيب فيجعل لهم في أرض المحشر أحواضَ ماء، يقِف عليْها الرُّسل عليهم السلام، قال رسول الله – صلَّى الله عليْه وسلَّم ((إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وإنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أيُّهُمْ أكْثَرُ وارِدَةً، وإنِّي أرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ وَارِدَةً)).

**الحوض:** هو مجمع الماء العظيم الذي يضعه الله في عرصات القيامة ويرد عليه المؤمنون وهو من أوجه إكرام النبي صل الله عليه وسلم.

**الأدلة على الحوض:** ذكر أهل العلم أن أحاديث الحوص بلغت حد التواتر فقد رواه من الصحابة بضع وثلاثون صحابيا.

قال صلى الله عليه وسلم:" إني فرطكم على الحوض" متفق عليه زاد مسلم وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة"، وقال صلى الله عليه وسلم:"حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدا" متفق عليه.

**مسائل في الحوض:**

**المسألة الأولى: أي الموقفين قبل الحوض أم الصراط؟**

ذهب القرطبي إلى أن الحوض قبل الصراط والميزان واستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم:" بينا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت: أين؟ قال إلى النار.." رواه البخاري فقالوا

أن من جاوز الصراط سلم من النار وفي هذا الحديث أنهم لما وصلوا إلى الحوض أخذوا إلى النار فدل على أن الحوض قبل الصراط ومال إلى هذا القول ابن كثير.

القول الثاني: وذهب طائفة إلى أن الصراط قبل الحوض وهو ظاهر تبويب البخاري

القول الثالث: ومنهم من مال إلى أنهما حوضان: حوض قبل الصراط وحوض بعد الصراط.

القول الرابع: ومنهم من قال إن الحوض يتسع حتى يشمل ما قبل الصراط وما بعده وقال به الشيخ حافظ الحكمي.

**المسألة الثانية: هل الحوض موجود الآن؟**

يعتقد أهل السنة أن الحوض موجود الآن قال صلى الله عليه وسلم:" إني فرطكم لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن" رواه البخاري

**المسألة الثالثة: ما الفرق بين الحوض والكوثر؟**

دلت الأدلة على أن الحوض غير الكوثر ويظهر هذا من خلال ما يأتي:

الأول: الحوض في موقف القيامة وأما الكوثر فإنه في الجنة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر:" نهر وعدنيه ربي عزوجل في الجنة عليه حوض" رواه مسلم.

الثاني: أن الكوثر أصل الحوض ومنه يمد بدليل الحديث السابق وفيه":" نهر وعدنيه ربي عزوجل في الجنة عليه حوض" ومعنى هذا أن الكوثر يسيل في الحوض كما قوله صلى الله عليه وسلم:"وأعطاني الكوثر فهو نهر من الجنة يسيل في حوضي" وفي رواية مسلم عن الحوض" يشخب فيه ميزابان من الجنة"

**المسألة الرابعة: هل لكل نبي حوض؟**

نعم لكل نبي حوض كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني أرجو أن أكون أكثرهم وارداً"

وذكر ابن الحجر أن المختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر، وعليه فيقال الكوثر خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم والحوض عام له ولغيره من الأنبياء.

**المسألة الخامسة: صفة حوضه صلى الله عليه وسلم.**

جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، يمد ماؤه من الجنة، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وآنيته كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة

لم يظمأ بعدها أبدا .

**المسألة السادسة: مساحة الحوض:** ورد في حديث ابن عمر " ما بين عدن وعمان "، وفي رواية أخرى لابن عمر عند البخاري رقم ((٦٥٧٧)) : "كما بين جَرْباء وأذرُح ".

وفي حديث عبد الله بن عمرو " حوضي مسيرة شهر "، وفي حديث أبي ذر " ما بين عَمّان إلى أيله " إلى آخر الألفاظ الواردة.

قال القاضي عياض موضحاً أن هذا الاختلاف لا يدل على التعارض أو الاضطراب: " هذا من اختلاف التقدير لأن ذلك لم يقع في حديث واحد فيعد اضطراباً من الرواة، وإنما جاء في أحاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة سمعوه في مواطن مختلفة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضرب في كل منها مثلاً لبعد أقطار الحوض وسعته بما يسنح له من العبارات، ويقرب ذلك للعلم ببعد ما بين البلاد النائية بعضها من بعض، لا على إرادة المسافة المحققة، قال: فبهذا يجمع بين الألفاظ المختلفة من جهة المعنى ".

وقال القرطبي: ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف، وليس كذلك، وإنما تحدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة، مخاطباً لك طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام: ما بين أذرح وجربا، ولأهل اليمن من صنعاء إلى عدن، وهكذا. وتارة أخرى يقدر بالزمان فيقول: مسيرة شهر، والمعنى المقصود: أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا، فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات، فخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها، والله أعلم.

**المسألة السابعة: من يذاد عن الحوض؟**

ذكر أهل العلم أنهم ثلاث أصناف:

الأول: المرتدون ودليله قول النبي صلى الله عليه وسلم" يارب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم" رواه البخاري.

الثاني: المبتدعة المحدثون ودليله الحديث السابق:" إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك"

الثالث: من فحش ظلمهم وتعديهم وفسقهم وإفسادهم قال ابن عبدالبر في ذكره لمن يطرودون من الحوض:" وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو المطرودين عن الحوض المبعدين عنه.... ثم قال" وكذلك الظلمة المسرفون في الجوز والظلم.."

**العرض والحساب:**

**العرض:** عرض الخلائق على الله عز وجل، قال تعالى: {وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الكهف: ٤٨] (الكهف الآية: ٤٨) ، وقال: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقة: ١٨] (الحاقة الآية: ١٨) .

**والحساب:** توقيف الله عز وجل العباد على أعمالهم واطلاعهم عليها ، وتذكيرهم ما نسوه منها، وتقريرهم بذلك ، قال تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ} [المجادلة: ٦] (المجادلة الآية: ٦) ، وقال تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ - ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الغاشية: ٢٥ - ٢٦] (الغاشية الآية: ٢٥ - ٢٦) ، وقال {فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ - يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ - وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ - سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ - لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [إبراهيم: ٤٧ - ٥١] (إبراهيم الآية: ٤٧ - ٥١) .

وفي هذا الموقف تنشر الصحف، ويسأل الجميع، الرسل وأممهم، قال تعالى: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف: ٦] (الأعراف: ٦) .

ولكن الناس متفاوتون في السؤال والمحاسبة، فالمؤمنون تعرض عليهم ذنوبهم ويقرون بها ويسترون، ففي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من نوقش الحساب عُذِّب "، فقلت: أليس يقول الله تعالى: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: ٨] (الانشقاق الآية: ٨) ، قال: " ذلك العرض ".»

وفي الصحيحين عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم» .

**مسائل تتعلق بالحساب:** ينقسم الحساب إلى عرض ومناقشة دل عليه حديث السابق

أما المقصود بالعرض: أن تعرض على المؤمن أعماله حتى يعرف منة الله عليه في ستر ذنوبه عليه في الدنيا وعفوه عنها في الآخرة ولعل مما يشهد له حديث عائشة عند أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته:" اللهم حاسبني حساباً يسيراً فلما انصرف قالت يا نبي الله ما الحساب اليسير؟ قال:" أن ينظر

في كتابه فيتجاوز عنه إنه من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة هلك"
وصفة العرض وردت في حديث ابن عمر السابق.
أما المناقشة فهي استقصاء الأعمال صغيرها وكبيرها والتدقيق في ذلك وعدم المسامحة عليها فمن نوقش الحساب بهذه الطريقة هلك بلا ريب لأن الإنسان ليس بمعصوم من المعاصي. ومن أمثلة ما ورد في المناقشة ما جاء في حديث أول من تسعر بهم النار.."
«ومن المؤمنين من يدخل الجنة بلا حساب كالسبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب» ، كما ثبت في حديث ابن عباس، أخرجه البخاري ومسلم.
أما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، لأنه لا حسنات لهم قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: ٢٣] (الفرقان الآية: ٢٣) لكن حسابهم عرض أعمالهم عليهم وتوبيخهم عليها.

## الميزان

الميزان: ما توزن فيه الأعمال يوم القيامة والوزن يكون بعد الحساب، قال القرطبي(وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها)

**مسألة: هل الميزان واحد أم متعدد؟**

فيه خلاف:فقال قوم: إنها موازين متعددة فكل أمة ميزان أو لكل جنس من أجناس الأعمال ميزان وحجتهم أنه لم يأت في القرآن إلا مجموعاً كقوله تعالى( ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)
وقال قوم: بل هو ميزان واحد لجميع الأمم وهو الأظهر مستدلين سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت فتقول الملائكة: يارب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي" الحديث صححه الألباني.
وأجيب على جمع الميزان في القرآن إما أنه من باب التعظيم والتفخيم أو باعتبار الموزونات.
**مسألة: الميزان عند أهل السنة ميزان حقيقي له كفتان حقيقتان،** تخف إحداهما أو تثقل بحسب ما يوضع فيها وهو دقيق جداً يزن مثاقيل الذر ، والأدلة على الميزان كثيرة:

**قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ**

مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الأعراف: ٨ - ٩

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٧

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"

ويدل لذلك أيضاً حديث صاحب البطاقة وفيه أنه السجلات في كفة والبطاقة في كفة. الحديث وسيأتي ذكره.

**مسألة: المخالفون لأهل السنة في الميزان:** خالف بعض المعتزلة في الميزان وأولوه الميزان بالعدل وأنكروا الميزان الحقيقي وقولهم باطل مخالف لنصوص الكتاب والسنة.

**مسألة: ما الذي يوزن في الميزان؟** اختلف أهل العلم في الموزون في ذلك اليوم على أقوال:

**الأول: أن الذي يوزن في ذلك اليوم الأعمال نفسها،** ويدل لذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم "

**الثاني: أن الذي يوزن هو العامل نفسه،** فقد دلَّت النصوص على أن العباد يوزنون في يوم القيامة، فيثقلون في الميزان أو يخفون بمقدار إيمانهم، في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا: (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) [الكهف: ١٠٥] "

ويؤتى بالرجل النحيف الضعيف دقيق الساقين فإذا به يزن الجبال، روى أحمد في مسنده، عن زر بن حبيش عن ابن مسعود، أنه كان رقيق الساقين، فجعلت الريح تلقيه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مم تضحكون؟ " قالوا: يا نبي الله من رقة ساقيه"

قال: " والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد ".

**الثالث: أن الذي يوزن إنما هو صحائف الأعمال.** فقد روى الترمذي في ((سننه)) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من

هذا شيئاَ ؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول الله تعالى: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء " فهذا الحديث صريح في أن الموزون هو صحف الأعمال.

ولعل الحق أن الذي يوزن هو العامل وعمله وصحف أعماله، فقد دلت النصوص التي سقناها على أن كل واحد من هذه الثلاثة يوزن، ولم تنف النصوص المثبتة لوزن الواحد منها أن غيره لا يوزن، فيكون مقتضى الجمع بين النصوص إثبات الوزن للثلاثة المذكورة جميعها.

## الصراط

الصراط: لغة: الطريق الواضح

واصطلاحاً: هو جسر منصوب على متن جهنم يعبر عليه للوصول إلى الجنة

ووقت المرور عليه بعد مفارقة الناس لموقف الحساب، فإن الصراط ينجو عليه المؤمنون من النار إلى الجنة، ويسقط منه أهل النار فيها.

قال تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا – ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: ٧١ – ٧٢] (مريم الآيتان: ٧١ – ٧٢) .

واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: {وإن منكم إلا واردها} [مريم: ٧١] ، ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى: {ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا} [مريم: ٧٢] . وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم، قال: «والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: وإن منكم إلا واردها [مريم: ٧١] فقال: ألم تسمعيه قال: {ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا} [مريم: ٧٢] » [مريم: ٧٢] . أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – «أن ناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: " ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان "

هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم» .

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «. . . ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم " قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال: " دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم. . .» .

**مسائل متعلقة بالصراط:**

**أولاً: صفات الصراط:**

١.دلت النصوص على أنه زلق –لا تثبت عليه الأقدام– ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الجسر فقال:" مدحضة مزلة"

٢. أن على حافتيه كلاليب وخطاطيف وحسك كما تقدم في حديث أبي سعيد الخدري.

ومعنى الكلاليب/ الحديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم وترسل في التنور قاله النووي.

والحسك قال ابن حجر/ (الحسك نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم وربما اتخذ مثله من حديد وهو من آلات الحرب)

٣.أنه حاد كالسيف قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف" رواه مسلم عند الحاكم عن سلمان مرفوعاً:" ويوضع الصراط مثل حد الموسى" صححه الشيخ الألباني، وهذا فيه بيان خطأ من يزعم أن الصراط واسع.

**مسألة: أحوال المؤمنين في المرور على الصراط:**

أولاً: أحوالهم من حيث النور والظلمة ففي حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال( ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنين"

وروى البيهقي بسنده، عن مسروق، عن عبد الله، قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة، إلى أن قال: فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، وقال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر (ذلك)

من يعطى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ مرة، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا طفئ قام، قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض، مزلة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم.." الحديث الثاني: أحوالهم في المشي: دلت النصوص أن بعضهم تكون سرعته على الصراط كطرف العين وبعضهم كالبرق وبعضهم كالريح وبعضهم كأجاويد الخيل، وبعضهم كمر الطير، وبعضهم كأجاويد الركاب الجمل، وبعضهم كشد ركض الرجال، وبعضهم كمشي الرجال وبعضهم يزحف ، وبعضهم يسحب وآخرهم رجل يتلبط على بطنه فيقول أي رب لماذا أبطأت بي؟ فيقول: لم أبطأ بك إنما أبطأ بك عملك فكل هؤلاء تجري بهم أعمالهم بحسبها.

**مسألة: أول من يجوز على الصراط هو النبي صلى الله عليه وسلم وأمته** قال عليه الصلاة والسلام:" ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها" متفق عليه.

**أهوال يوم القيامة : المراد بها** : الأمور الشديدة العظام التي تقع بعد البعث من الحساب والميزان والمرور على الصراط وغيرها ، وبعدها دخول الجنة أو النار

**الأدلة** : قال تعالى :{فإنما هي زجرة واحدة. فإذا هم بالساهرة} [النازعات: ١٣، ١٤](أي: إنما هو أمر واحد من الله عز وجل، يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض، فإذا هم قيام بين يديه، ينظرون إلى أهوال يوم القيامة). وقال تعالى : {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا} [مريم: ٧١] ، وقال تعالى : {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ } [غافر: ١٨] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ: (إذا الشمس كورت) [التكوير: ١] ، (إذا السماء انفطرت) [الانفطار: ١] ، (إذا السماء انشقت) [الانشقاق: ١] . رواه الترمذي ، وعن عبد الله بن مسعود، قال: جاء حبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر، تصديقا له، ثم قرأ: {وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون} متفق عليه

**المسائل المتعلقة :**

**المسألة الأولى : تعدد أهوال القيامة** : أهوال يوم القيامة كثيرة ومتنوعة ، منها :

١-قبض الأرض وطي السماء: يقبض الحق تبارك وتعالى الأرض بيده في يوم القيامة، ويطوي السماوات بيمينه، كما قال تبارك وتعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الزمر: ٦٧] ، وعن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " يقبض الله الأرض، ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض " متفق عليه

وفي تفصيل لما يجري في ذلك اليوم ، قال عبد الله بن مسعود: جاء حبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر، تصديقا له، ثم قرأ: {وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون} متفق عليه

٢-دك الأرض ونسف الجبال :يخبرنا ربنا تبارك وتعالى أن أرضنا الثابتة، وما عليها من جبال صم راسية تحمل في يوم القيامة عندما ينفخ في الصور فتدك دكة واحدة: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ - وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً - فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) [الحاقة: ١٣-١٥] ، (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) [الفجر: ٢١] ، وعند ذلك تتحول هذه الجبال الصلبة القاسية إلى رمل ناعم، كما قال تعالى: (يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا) [المزمل: ١٤] ، أي تصبح ككثبان الرمل بعد أن كانت حجارة صماء، والرمل المهيل: هو الذي إذا أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلاً، إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه.

وأخبر في موضع آخر أن الجبال تصبح كالعهن، والعهن هو الصوف، كما قال تعالى: (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) [المعارج: ٩] ، وفي نص آخر مثلّها بالصوف المنفوش: (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ) [القارعة: ٥] .

ثم إن الحق تبارك وتعالى يزيل هذه الجبال عن مواضعها، ويسوّي الأرض حتى لا يكون فيها موضع مرتفع، ولا منخفض، وعبّر القرآن عن إزالة الجبال بتسييرها مرة، وبنسفها أخرى (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) [التكوير: ٣] ، (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) [النبأ: ٢٠] . وقال في نَسْفِه لها: (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ) [المرسلات: ١٠] . ثم بين الحق حال الأرض بعد تسيير الجبال ونسفها (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) [الكهف:

٤٧] ، أي ظاهرة لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، كما قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا – فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا – لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) [طه: ١٠٥-١٠٧] .

٣-تفجير البحار وتسجيرها : هذه البحار تفجر يوم القيامة ، وتشتعل ناراً، قال تعالى: (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) [الإنفطار: ٣] ، وقال: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) [التكوير: ٦] .

٤-موران السماء وانفطارها :أما سماؤنا فإنها تمور موراناً وتضطرب اضطراباً عظيماً قال تعالى: (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْرًا) [الطور: ٩] ، ثم إنها تنفطر وتتشقق (إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ) [الانفطار: ١] ، (إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ – وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) [الانشقاق: ١-٢] . وعند ذلك تصبح واهية (وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) [الحاقة: ١٦] .

٥- تكوير الشمس وخسوف القمر وتناثر النجوم: فإن الشمس تكور ويذهب ضوؤها كما قال تعالى: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ [التكوير: ١] والتكوير عند العرب جمع الشيء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها على بعض وإذا جمع بعض الشمس على بعض ذهب ضوؤها ورمى بها. أما القمر فإنه يخسف ويذهب ضوؤه فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ [القيامة: ٧ – ٨] أما تلك النجوم المتناثرة فإن عقدها ينفرط فتتناثر وتنكدر وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ [الانفطار:٢]، وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ [التكوير:٢].

**المسألة الثانية : خوف الكافرين عند البعث ومشاهدة الأهوال** :قال تعالى يصف حال الكافرين عند مبعثهم من قبورهم ، ورؤيتهم لأهوال القيامة العظام: ( يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) ( النازعات ) قال ابن الجوزي مفسرًا :( قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ أي: شديدة الاضطراب لما عاينت من أهوال يوم القيامة أيضا أَبْصارُها خاشِعَةٌ أي: ذليلةٌ لمعاينة النار. قال عطاء: وهذه أبصار من لم يمت على الإسلام. ويدل على هذا أنه ذَكَرَ منكري البعث، فقال عزّ وجلّ: [يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ])

**المسألة الثالثة : المؤمنون المطيعون لا يلحقهم خوف أو حزن عند أهوال القيامة** : لقوله تعالى : { فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون } [البقرة: ٣٨] وقوله تعالى : {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا – وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا} [مريم: ٨٥ – ٨٦] قال الألوسي : ( استدل بالآية على أن أهوال القيامة تختص بالمجرمين لأن المتقين من الابتداء يحشرون مكرمين فكيف ينالهم بعد ذلك شدة)

**المراد بالشفاعة وأنواعها وشروطها:**

الشفاعة لغة: مشتقة من من الشفع وهو الزوج ضد الفرد لأن الداعي والمتوسط صار زوجاً للسائل بعد أن كان السائل فرداً فسمي شفيعاً لأنه شفعه يعني صار ثانياً معه.

ومعنى الشفاعة اصطلاحا: التوسط للغير في جلب منفعة أو دفع مضرة.

والمقصود بالشفاعة هنا هي الشفاعة التي تكون يوم القيامة وهي من الأمور المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة.

**أنواع الشفاعة من حيث ثبوتها ونفيها:**

تنقسم الشفاعة من هذه الحيثية إلى قسمين:

**القسم الأول: الشفاعة المثبتة:** وهي التي توافرت فيها شروط الشفاعة، وهي شروط ثلاثة :

الشرط الأول: رضي الله عن الشافع. قال تعالى: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السموات لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) (النجم: ٢٦) (يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً) (طه: ١٠٩)

الشرط الثاني: رضي الله عن المشفوع له .قال تعالى: (وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) (الأنبياء: الآية٢٨) أي لمن رضيه الله عز وجل، ويستثنى من هذا الشرط حالتان :

الأولى : في فصل القضاء حين يذهب الناس إلى الأنبياء ليشفع لهم في فصل القضاء فيشفع لهم نبينا صلى الله عليه وسلم ، فيدخل في هذه الشفاعة جميع الناس ومنهم الكفار .

الثانية : في حق عم النبي صلى الله عليه وسلم أبي طالب

الشرط الثالث: إذن الله بالشفاعة، قال تعالى (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (البقرة: الآية ٢٥٥)

**القسم الثاني : الشفاعة منفية:** وهي التي انتفت فيها أحد الشروط الثلاثة ،كالشفاعة بدون إذن الله ، أو الشفاعة في الكفار ، أو كالتي تطلب من غير الله تعالى . قال تعالى : ( قل لله الشفاعة جميعا )، وقال تعالى : ( ولا يقبل منها شفاعة )

**أصناف الشفعاء ثلاثة:** الملائكة والأنبياء والمؤمنون قال صلى الله عليه وسلم( شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين) رواه مسلم

**ثالثاً: أقسام الشفاعة المثبتة :** قسم أهل العلم رحمهم الله الشفاعة المثبتة إلى قسمين رئيسيين، هما:

**القسم الأول: الشفاعة الخاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم وهي ثلاثة أنواع بالإجماع :**

**الأولى** : **الشفاعة العظمى**، وهي المقام المحمود، الذي يرغب الأولون والآخرون فيه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليشفع إلى ربه كي يخلص العباد من أهوال المحشر. أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" «يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيلهمون لذلك اليوم، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مقامنا هذا، فيأتون آدم فيقولون:يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول لهم آدم: لست هناكم، ويذكر ذنبه الذي أصاب، فيستحيي ربه من ذلك، ويقول ولكن ائتوا نوحا، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحا فيقول:

لست هناكم، ويذكر خطيئته سؤال ربه ما ليس له به علم، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتونه، فيقول:لست هناكم ولكن ائتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتون موسى فيقول: لست هناكم ويذكر لهم النفس التي قتل بغير حق، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتونني فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى أستأذن على ربي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد قل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع» " متفق عليه الحديث.

**الشفاعة الثانية** : شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة: عن أنس بن مالك: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أول شفيع في الجنة) رواه مسلم ، وعن حذيفة رضي الله عنه قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله عز وجل قال فيقول إبراهيم لست بصاحب ذلك وإنما كنت خليلا من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تعالى تكليما فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله تعالى وروحه، فيقول عيسى عليه السلام لست بصاحب ذلك فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن له " رواه مسلم

**الشفاعة الثالثة** : شفاعته في عمه أبي طالب: عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"رواه مسلم ( الضحضاح ما رق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين ...

واستعير في النار )

**القسم الثاني: الشفاعة العامة له صلى الله عليه وسلم ولجميع المؤمنين وهي أنواع:**

**النوع الأول:** الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وهذه قد يستدل لها بقول الرسول صلى الله عليه وسلم " ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا؛ إلا شفعهم الله فيه "١ فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك.

**النوع الثاني:** الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها، روى البخاري عن عمران بن حصين –رضي اللَّه عنه– عن النبي –صلى اللَّه عليه وسلم– قال: "يخرج قوم من النار بشفاعة محمد –صلى اللَّه عليه وسلم– ويدخلون الجنة ويسمون الجهنميين" ، وروى وأخرج البخاري ومسلم من حديث جابر –رضي اللَّه عنه– قال: سمعت رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم– يقول: "إن اللَّه يخرج قومًا من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة" .

**النوع الثالث:** الشفاعة في رفع درجات المؤمنين، وهذه تؤخذ من دعاء المؤمنين بعضهم لبعض كما قال صلى الله عليه وسلم في أبي سلمة: " اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، وأفسح له في قبره، ونور له فيه، واخلفه في عقبه "رواه مسلم ، والدعاء شفاعة؛ كما قال صلى الله عليه وسلم " ما من مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا؛ إلا شفعهم الله فيه "رواه مسلم

**الشفاعة الثالثة** :في دخول الجنة بلا حساب ، كما في حديث أبي هريرة وفيه ، (يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة) متفق عليه، قال بعض العلماء إن هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم كالقاضي عياض والنووي والسيوطي ، وحصل عند ابن دقيق العيد وابن حجر نوع تردد في ذلك

**الشفاعة الرابعة** : الشفاعة لقوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، أن يدخلوا الجنة، وهؤلاء هم أهل الأعراف ، ويكونون عل الأعراف ابتداء فيمكثون على ذلك ما شاء الله ثم يدخلون الجنة ، روى الطبري عن وقال حذيفة: إن أصحاب الأعراف قوم تكافأت أعمالهم، فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة، وقصرت بهم سيئاتهم عن النار، فجعلوا على الأعراف، يعرفون الناس بسيماهم، فلما قضى الله بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة، فأتوا آدم .. إبراهيم موسى.. عيسى.. محمدا ... والشاهد فيه فآتي بهم الجنة، فأستفتح فيفتح لي ولهم

**الشفاعة الخامسة** : الشفاعة لقوم استحقوا النار ألا يدخلونها. عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما

– أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" رواه الترمذي .
وجه الدلالة من الحديث أن أهل الكبائر لفظ عام ، يشمل الذين دخلوا النار والذين لم يدخلوها .

**صفة الجنة والنار وأدلتهما وأبديتهما** اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وخالف في ذلك المعتزلة وزعموا أنهما لم تخلقا بعد ، وزعموا أن خلقهما يكون يوم القيامة ، لأن خلقهما الآن عندهم من العبث، لأنها تصير معطلة مددا متطاولة.
أما أهل السنة فقالوا : ليس هذا عبثًا ، بل هناك حكمًا عظيمة ، ومنها ، أن الله لم يزل يزيد في نعيم الجنة ، وكذلك النار يزيد الله فيها من أصناف العذاب ، بالإضافة إلى أن أرواح المؤمنين تنعم في الجنة ، وأرواح الكفار تعذب في النار .
وآمر آخر : أن العبرة بالأدلة الشرعية ، وليست بالخيالات العقلية المخالفة لها ، والأدلة الشرعية على وجود الجنة والنار كثيرة منها :
١–قوله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)} آل عمران: ١٣٣، وقال تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١)} الحديد: ٢١، فدل التعبير عن إعداد الجنة للمؤمنين بالفعل الماضي على أنها موجودة بالفعل في الدنيا.
٢–وقال تعالى: {فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)} البقرة: ٢٤، وقال تعالى: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١)} آل عمران: ١٣١، وقال تعالى: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢)} النبأ: ٢١ – ٢٢، فدل التعبير بالماضي على أن النار وجدت فعلاً.
٣–عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة) متفق عليه
٤–عن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها ثم رجع، فقال: وعزتك، لقد خشيت ألا يدخلها أحد،

قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر فإذا هي يركب بعضها بعضا، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها) رواه مسلم

٥-عن أنس رضي الله عنه، في قصة الإسراء، وفي آخره: «ثم انطلق بي جبرائيل، حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي"قال: "ثم دخلت الجنة، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك».متفق عليه

٦-عن عبد الله ابن عباس، قال: «انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم». فذكر الحديث، وفيه: «فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت؟ فقال: "إني رأيت الجنة، وتناولت عنقودا، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع "

٧- عن أنس رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وايم الذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيت، لضحكتم قليلا [ولبكيتم] (١). كثيرا"قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: "رأيت الجنة والنار». رواه مسلم

**أبديتهما** :اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار باقيتان، لا تفنيان ، قال أبو الحسن الأشعري : (وقال أهل الإسلام جميعاً: ليس للجنة والنار آخر، وإنهما لا تزالان باقيتين، وكذلك أهل الجنة لا يزالون في الجنة يتنعمون، وأهل النار لا يزالون في النار يعذبون، وليس لذلك آخر) . وقال شيخ الإسلام : (وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات مما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك)

وقد خالفت الجهمية في أبدية الجنة والنار وقالوا بفنائهما .

**الأدلة على دوام الجنة والنار كثيرة جداً، فمنها في بقاء الجنة:**

قوله تعالى {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠] وقوله تعالى: {وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ} [الحجر: ٤٨] وقوله تعالى فيها: {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هود: ١٠٨] وقوله تعالى: {لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة: ٣٣] وقوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ} [ص: ٥٤] وقال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ} [الدخان: ٥١] إلى قوله: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى} [الدخان: ٥٦] وغيرها من الآيات .

**وجه الدلالة من الآيات** : أن الله أخبر بأبديتها وأبدية حياة أهلها، وعدم انقطاعها عنهم وعدم خروجهم

منها

**ومثلها في بقاء النار، ومنها:** قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا - خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥] وقوله تعالى: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الجن: ٢٣] وقوله تعالى: {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة: ١٦٧] وقوله تعالى: {لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزخرف: ٧٥] وقوله تعالى: {لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا} [فاطر: ٣٦] وقوله تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا} [طه: ٧٤] وغير ذلك من الآيات

**وجه الدلالة من الآيات** : أن الله أخبرنا في هذه الآيات وأمثالها أن أهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها، أنهم خالدون فيها أبدا، فنفى تعالى خروجهم منها بقوله: {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة: ١٦٧] ونفى انقطاعها عنهم بقوله: {لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ} [الزخرف: ٧٥] ونفى فناءهم فيها بقوله: {ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا} [الأعلى: ١٣]

**ومن الأدلة من السنة على دوام الجنة والنار، وخلود أهلهما فيهما:-** حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - مرفوعاً: أنه: ((يؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت)) متفق عليه

وأما قول الله تبارك وتعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [هود:١٠٧]، فأحسن ما قيل في جوابه: أن فيه بيان أن خلود أهل الجنة وأهل النار فيهما: إنما ذلك بمشيئته سبحانه، فلو شاء لأفنى الجنة، ولو شاء لأفنى النار، فالأمر إليه، وهو بمشيئته، لكنه أخبر بخلودهما سبحانه.

**صفة النار:**

**أولاً: مكان النار:** اختلف العلماء في موقع النار الآن فقال بعضهم: هي في الأرض السفلى، وقال آخرون: هي في السماء، وقال آخرون بالتوقف في ذلك، وهو الصواب، لعدم ورود نص صريح صحيح يحدد موقعها، ومن الذين توقفوا في هذا، الحافظ السيوطي قال: " وتَقِفُ عن النار، أي: تَقُولُ فيها بالوقف، أي محلها، حيث لا يعلمه إلا الله، فلم يثبت عندي حديث أعتمده في ذلك ".

**ثانياً: سعة النار وبعد قعرها:**النار شاسعة واسعة، بعيد قعرها، مترامية أطرافها، يدلنا على هذا أمور:

الأول: الذين يدخلون النار أعداد لا تحصى، ومع كثرة عددهم فإن خلق الواحد فيهم يضخم حتى يكون

ضرسه في النار مثل جبل أحد، وما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام، ومع ذلك فإنها تستوعب هذه الأعداد الهائلة التي وجدت على امتداد الحياة الدنيا من الكفرة المجرمين على عظم خلقهم، ويبقى فيها متسع لغيرهم وقد أخبرنا الله بهذه الحقيقة في سورة ق فقال: (ويوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد)

وقد جاء في حديث احتجاج الجنة والنار أن الله يقول للنار: " إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار، فلا تمتلئ حتى يضع رجله – وفي رواية حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله – فتقول: قط قط قط، فهنالك تمتلئ، ويُزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً " رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

وعن أنس عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط، قط، بعزتك وكرمك " متفق عليه.

الثاني: يدل على بعد قعرها أيضاً أن الحجر إذا ألقي من أعلاها احتاج إلى آماد طويلة حتى يبلغ قعرها، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، إذ سمع وَجْبَة ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " تدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار إلى الآن ".

الثالث: كثرة العدد الذي يأتي بالنار من الملائكة في يوم القيامة، فقد وصف الرسول – صلى الله عليه وسلم – مجيء النار في يوم القيامة، الذي يقول الله فيه: (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) [الفجر: ٢٣] ، فقال: " يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك " رواه مسلم عن عبد الله ابن مسعود

**ثالثاً: دركات النار:** النار متفاوتة في شدة حرها، وما أعده الله من العذاب لأهلها، فليست درجة واحدة، وقد قال الحق تبارك وتعالى: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) [النساء: ١٤٥] . والعرب تطلق: " الدرك " على كل ما تسافل، كما تطلق: " الدرج " على كل ما تعالى، فيقال: للجنة درجات وللنار دركات، وكلما ذهبت النار سفلاً كلما علا حرها واشتد لهيبها ، والمنافقون لهم النصيب الأوفر من العذاب، ولذلك كانوا في الدرك الأسفل من النار.

وقد تسمى النار درجات أيضاً، ففي سورة الأنعام ذكر الله أهل الجنة والنار، ثم قال: (ولكلٍ درجاتٌ مما عملوا) [الأنعام: ١٣٢] ، وقال: (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجاتٌ عند الله..) [آل عمران: ١٦٢ – ١٦٣] ، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: " درجات الجنة تذهب علواً، ودرجات النار تذهب سفلاً "

**رابعاً: أبواب النار**: أخبر الحق أن للنار سبعة أبواب كما قال تعالى: (وإن جهنم لموعدهم أجمعين* لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم)

وعندما يردُ الكفار النار تفتح أبوابها، ثم يدخلونها خالدين (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) [الزمر: ٧١] ، وبعد هذا الإقرار يقال لهم: (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) [الزمر: ٧٢] ، وهذه الأبواب تغلق على المجرمين، فلا مطمع لهم في الخروج منها بعد ذلك، كما قال تعالى: (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة*عليهم نار مؤصدة)

**خامساً: وقود النار**: الأحجار والفجرة الكفار وقود النار، كما قال الحق: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) [التحريم: ٦] ، وقال: (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) [البقرة: ٢٤] .

والمراد بالناس الذين توقد النار بهم الكفرة المشركون، ومما توقد به النار الآلهة التي كانت تعبد من دون الله (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون* لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكلٌ فيها خالدون) وحصبها: وقودها وحطبها، وقال الجوهري: "كل ما أوقدت به النار أو هيجتها فقد حصبتها "، وقال أبو عبيدة: "كل ما قذفته في النار فقد حصبتها به "

**سادساً: شدة حرها وعظم دخانها وشرارها**:قال الله تعالى: (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال*في سموم وحميم*وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم) [الواقعة: ٤١ – ٤٤] ، وقد تضمنت هذه الآية ذكر ما يتبرد به الناس من الكرب والحر وهو ثلاثة: الماء والهواء والظل، وذكرت الآية أن هذه لا تغني عن أهل النار شيئاً، فهواء جهنم: السموم، وهو الريح الحارة الشديدة الحر، وماؤها: الحميم الذي قد اشتد حره، وظلها: اليحموم وهو قطع دخانها.

وكما هوّل في هذه الآية أمر أصحاب الشمال أهل النار، هوّل في آية أخرى أمر النار فقال: (وأما من خفت موازينه* فأمه هاوية* وما أدراك ما هيه * نار حامية) [القارعة: ٨ – ١١] .

والظل الذي أشارت إليه الآية (وظل من يحموم) [الواقعة: ٤٣] ، هو ظل دخان النار، والظل يشعر عادة بالنداوة والبرودة، كما أن النفس تحبه وتستريح إليه، أما هذا الظل فإنه ليس ببارد المدخل ولا بكريم المنظر، إنه ظل من يحموم.

وقد حدثنا القرآن عن هذا الظل الذي هو دخان جهنم الذي يعلو النار،فقال: (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب* لا ظليل ولا يغني من اللهب* إنها ترمي بشرر كالقصر *كأنه جملت صفر) [المرسلات: ٣٠-٣٣] .
فالآية تقرر أن الدخان الذي يتصاعد من هذه النار لضخامته ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وهو يلقي ظلالاً ولكنها غير ظليلة، ولا تقي من اللهب المشتعل، أما شرار هذه النار المتطاير منها فإنه يشبه الحصون الضخمة، كما يشبه هذا الشرار الجمالة الصفر، أي الإبل السود.
وقال الحق مبيناً قوة هذه النار، ومدى تأثيرها في المعذبين: (سأصليه سقر*وما أدراك ما سقر*لا تبقي ولا تذر*لواحة للبشر) [المدثر: ٢٦-٢٩] ، إنها تأكل كل شيء، وتدمر كل شيء، لا تبقي ولا تذر، تحرق الجلود، وتصل إلى العظام، وتصهر ما في البطون، وتطلع على الأفئدة.
وقد أخبرنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن " نارنا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم "، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: " فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلهن مثل حرها ". رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري، وفي لفظ مسلم: " ناركم التي يوقد ابن آدم..".
**سابعاً: تأثير النار على الدنيا وأهلها**:روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " اشتكت النار إلى ربها، فقالت رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لنا بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشدُّ ما تجدون من الزمهرير ".
وروى البخاري أيضاً عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " أبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم ".

## صفة الجنة:

**أولاً: الجنة لا مثل لها**:نعيم الجنة يفوق الوصف، ويقصر دونه الخيال، ليس لنعيمها نظير فيما يعلمه أهل الدنيا، ومهما ترقى الناس في دنياهم، فسيبقى ما يبلغونه أمراً هيناً بالنسبة لنعيم الآخرة، وقد سأل الصحابة الرسول عن بناء الجنة، فأسمعنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الإجابة وصفاً عجباً، يقول عليه السلام في صفة بنائها: " لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، ولا يبلى ثيابها، ولا يفنى شبابهم " رواه أحمد والترمذي . وصدق الله حيث يقول: (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً) [الإنسان: ٢٠] .
وما أخفاه الله عنا من نعيم الجنة شيء عظيم لا تدركه العقول، ولا تصل إلى كنهه الأفكار (فلا تعلم نفس

ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) [السجدة: ١٧] ، وقد جاء في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) [السجدة: ١٧]

**ثانيا: أبواب الجنة:** للجنة أبواب يدخل منها المؤمنون كما يدخل منها الملائكة (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) [ص: ٥٠] ، (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) [الرعد: ٢٣] ، وأخبرنا الحق تبارك وتعالى أن هذه الأبواب تفتح عندما يصل المؤمنون إليها، وتستقبلهم الملائكة محيية بسلامة الوصول: (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) [الزمر: ٧٣] .

وأخبرنا رسولنا – صلى الله عليه وسلم – أن أبواب الجنة تفتح في كل عام في رمضان، فعن أبي هريرة، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ".

وعدد أبواب الجنة ثمانية، وأحد هذه الأبواب يسمى الريّان وهو خاص بالصائمين ففي الصحيحين عن سهل بن سعد أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " في الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل غيرهم".

وهناك باب للمكثرين من الصلاة، وباب للمتصدقين، وباب للمجاهدين، بالإضافة إلى باب الصائمين المسمى بالريّان، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " من أنفق زوجين في سبيل الله من ماله، دُعي من أبواب الجنة، وللجنة ثمانية أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام ". فقال أبو بكر: والله ما على أحد من ضرر دعي من أيها دعي، فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم"

**ثالثاً: درجات الجنة:** الجنة درجات بعضها فوق بعض، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم فيها، قال الله تعالى: (ومن يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) [طه: ٧٥] . وقال تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) [المجادلة: ١١] "

وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل، أو جلس في أرضه

التي ولد فيها، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفروس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، أراه قال: وفوقه عرش الرحمن – ومنه تفجر أنهار الجنة "

**رابعاً: أنهار الجنة:** أخبرنا الله تبارك وتعالى بأن الجنة تجري من تحتها الأنهار، (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) [البقرة: ٢٥] وأحيانا يقول: تجري تحتهم الأنهار: (أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار) [الكهف: ٣١] .

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " رفعت لي السدرة، فإذا أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان، فأما الظاهران: فالنيل والفرات، وأما الباطنان: فنهران في الجنة".

**خامساً: قصور الجنة وخيامها:** يبني الله لأهل الجنة في الجنة مساكن طيبة حسنة كما قال تعالى: (ومساكن طيبة في جنات عدن) [التوبة: ٧٢] . وقد سمى الله في مواضع من كتابه هذه المساكن بالغرفات، قال تعالى: (وهم في الغرفات آمنون) [سبأ: ٣٧] ، وقال في جزاء عباد الرحمن: (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما) [الفرقان: ٧٥] ، وقال تعالى واصفاً هذه الغرفات: (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) [الزمر: ٢٠] .

قال ابن كثير: " أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفاً في الجنة وهي القصور أي الشاهقة، (من فوقها غرف مبنية) [الزمر: ٢٠] ، طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات.

وقد وصف لنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – هذه القصور، ففي الحديث الذي يرويه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن أبي مالك الأشعري والترمذي عن عليٍّ أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام ".

**ثمرات الإيمان باليوم الآخر:**

الأولى: عظم الاجر وجزالة المثوبة فإن الإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب الذي وعد الله أهله بالأجر العظيم.

الثانية: الاجتهاد في كثرة العمل الصالح والاستزادة منه وفق الشرع رجاء ثقله في الموازين ورفعة الدرجات وحط الخطيئات.

الثالثة: الحذر من المعاصي والمخالفات وملازمة التوبة النصوح من الخطيئات حذراً من عقوباتها في الآخرة.
الرابعة : تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

## القضاء والقدر

القضاء في اللغة: القطع والفصل يقال قضى يقضي قضاء فهو قاضي إذا حكم وفصل، وقضاء الشيء : إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه.

والقدر: في اللغة: التقدير

تعريف القضاء والقدر شرعاً: عُرِّف بأنه: تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمُه، واقتضته حكمته.

وعرف بتعريف آخر مختصر وهو: علم الله بالأشياء، وكتابته، ومشيئته، وخلقه لها.

**الفرق بين القضاء والقدر:** كلٌّ مِن القضاء والقدر يأتي بمعنى الآخر؛ فمعاني القضاء تؤول إلى إحكام الشيء، وإتقانه، ونحو ذلك من معاني القضاء ، ومعاني القدر تدور حول ذلك، وتعود إلى التقدير، والحكم، والخلق، والحتم، ونحو ذلك.

فلا فرق بين القضاء والقدر؛ فكل واحد منهما بمعنى الآخر؛ فإذا أطلق التعريف على أحدهما شمل الآخر؛ ويعبر عن كل واحد منهما كما يعبر عن الآخر؛ فهما مترادفان من هذا الاعتبار، فيقال: هذا قدر الله، ويقال: هذا قضاء الله، ويقال: هذا قضاء الله وقدره.

وقيل/ هما كلمتان إذا اجتمعتا افترقتا، وإذا افترقتا اجتمعتا.

فإذا افترقتا اجتمعتا بحيث يشمل أحدهما الآخر.

وإذا اجتمعا افترقا؛ وفي الفرق بينهما أقوال :

قيل القدر/ هو التقدير في الأزل، والقضاء هو الخلق. وعليه فالقدر كالأساس ، والقضاء كالبناء على الأساس ، قاله ابن الأثير

وقيل/ القضاء بمعنى حكم الله في الأزل، والقدر وقوعه بحسب القضاء السابق، فالأصل هنا هو القضاء ، والفرع هو القدر ، قاله ابن حجر

**المراد من الإيمان بالقدر** : هو الإيمان بخلق الله تعالى لكل شيء ، وقدرته على كل شيء ، ومشيئته لكل ما كان ، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون ، وتقديره لها ، وكتابته إياها قبل أن تكون .

**أهمية الإيمان بالقضاء والقدر** : الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان وترجع أهميته

ومنزلته إلى ما يلي:

١.ارتباطه بالإيمان بالله: فالقدر قدرة الله، والمؤمن به مؤمن بقدرة الله، والمكذب به مكذب بقدرة الله عز وجل ، ثم إنه مرتبط بحكمة الله عز وجل وعلمه، ومشيئته، وخلقه.

٢.كثرة وروده في أدلة الشرع: فنصوص الكتاب والسنة حافلة ببيان حقيقة القدر، وتجلية أمره، وإيجاب الإيمان به.

٣.ارتباط القدر بحياة الناس وأحوالهم: فهو مرتبط بحياتهم اليومية وما فيها من أحداث وتقلبات ليس لهم في كثير منها إرادة أو تأثير . ولو لم يكن هناك إلا مسألة الحياة والموت، وتفاوت الناس في الأعمال والمواهب، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والهداية والإضلال _ لكان ذلك كافياً في أن يفكر الإنسان في القدر.

٤.ما يترتب على الإيمان به على الوجه الصحيح: فذلك يثمر السعادة في الدنيا والآخرة، ويورث اليقين، ويكسب الأخلاق الفاضلة، والهمم العالية، والإرادات القوية.

٥.ما يترتب على الجهل به: فالجهل به، أو فهمه على غير الوجه الصحيح يورث الشقاء، والعذاب في الدنيا والآخرة.

## الخوض في القدر : معناه، وأنواعه، وحكم كل نوع.

**المراد بالخوض في القدر** :الكلام فيه بالباطل ، وهو يشم عدة أمور :

١- الخوض فيه بغير علم .

٢- الاعتراض على القدر ، وترك الرضا والتسليم

٣- الخوض فيه بالعقل ، دون الاستناد إلى الوحي، لأن القدر غيب ، ولا يمكن للعقل إدراك سره على جه التفصيل .

**حكم الخوض في القدر** : وردت بعض الأحاديث في النهي عن الخوض في القدر كحديث ابن مسعود مرفوعاً قال صلى الله عليه وسلم:" إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا" والحديث الآخر لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر قال وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب قال: فقال لهم:" ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم" فهذه النصوص وأمثالها محمولة على سبيل الخوض والتنازع بالباطل أو على سبيل معرفة سر قدر الله في خلقه وهذا ممتنع لا سبيل إلى العلم به، ولم يطَّلع عليه مَلَك مقرب، ولا نبي مرسل، وهذا مما تتقاصر العقول عن فهمه ومعرفته، كالخوض في الأسئلة الاعتراضية التي لا يجوز إيرادها: كمن يقول مُتَعَنِّتاً:

لماذا هدى الله فلاناً، وأضل فلاناً؟ ولماذا كلَّف الله الإنسان من بين سائر المخلوقات؟ ولماذا أغنى الله فلاناً، وأفقر فلاناً؟ وهكذا.

**أما الخوض في القدر** من أجلِ تعلم ما يجب على المسلم اعتقاده ويصحح به إيمانه وهذا واجب. لأمور عديدة منها:

١.أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان: ولا يتم إيمان العبد إلا به، فكيف يُعرف إذا لم يُتحدث عنه، ويُبَيَّن للناس أمره؟!

٢.أن القرآن الكريم مليءٌ بذكر القدر وتفاصيله: والله ـعز وجلـ أمرنا بتدبر القرآن وعَقْلِه، كما في قوله ـ تعالى ـ: [كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ] سورة ص: ٢٩، وقوله: [أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا] سورة محمد: ٢٤.

٣.أن الإيمان بالقدر ورد في أعظم حديث في الإسلام: وهو حديث جبريل ـعليه السلامـ وكان ذلك في آخر حياة النبي " وقد قال " في آخر الحديث: =فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم". فمعرفته ـ إذاً ـ من الدين، وهي واجبة ولو على سبيل الإجمال.

٤.أن الصحابة سألوا النبي " عن أدق الأمور في القدر: كما جاء في حديث جابر في صحيح مسلم عندما جاء سراقة بن مالك بن جعشم إلى النبي"فقال: يا رسول الله بيِّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت المقادير؟ أم فيما نستقبل؟ قال: "لا، بل فيما جفت به الأقلام، وجرت المقادير، قال: ففيم العمل؟ فقال: "اعملوا فكل ميسر". وفي رواية "كل عامل ميسر لعمله".

٥.أن أئمة السلف الصالح من العلماء كتبوا في هذا الباب: بل وأطنبوا فيه، فلو قلنا بمنع الحديث عن القدر لضللناهم، وسَفَّهْنَا أحلامهم.

**مراتب القدر** : للقدر أربع مراتب:

**المرتبة الأولى : العلم السابق وأدلته.**

وهو الإيمان بأن الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً، أزلاً، وأبداً، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله، أو بأفعال عباده؛ فعلمه محيط بما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ويعلم الموجود، والمعدوم، والممكن، والمستحيل، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وقد عَلِمَ جميع خلقه قبل أن يخلقهم، فعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وجميع حركاتهم، وسكناتهم، وأهل الجنة، وأهل النار.

وهذه المرتبة ـ وهي العلم السابق ـ اتفق عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم، واتفق عليها جميع الصحابة، ومن تبعهم من هذه الأمة، وخالفهم مجوسُ هذه الأمة ـالقدرية الغلاة .

والأدلة على هذه المرتبة من القرآن الكريم والسنة المطهرة كثيرة جداً منها:

١.قوله تعالى: [هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ] سورة الحشر: ٢٢. أي عالم ما غاب من الإحساس وما حضر، وقيل: عالم السر والعلانية، وقيل: ما كان وما يكون، وقيل: الآخرة والدنيا.

٢.قوله تعالى:[وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ] سورة الأنعام : ٥٩,

٣. روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: سُئل النبي "عن أولاد المشركين، فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين.

٤.وقال صلى الله عليه وسلم ": ما منكم من نفس إلا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار".

**المرتبة الثانية: الكتابة: (كتابة المقادير )**

وهي الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ.

وقد أجمع الصحابة، والتابعون، وجميع أهل السنة والحديث على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، التي هي اللوح المحفوظ، والذكر، والإمام المبين، والكتاب المبين.

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة من الكتاب والسنة منها:

١. قال تعالى: [أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ] سورة الحج: ٧٠.فما كتبه الله ـ عز وجل ـ وأثبته عنده كان في علمه قبل أن يكتبه، ثم كتبه كما في علمه، ثم وُجِدَ كما كتبه عز وجل.

٢. قوله تعالى:[وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ] سورة يس ١٢ أي في كتاب هو أم الكتاب، وهو اللوح المحفوظ .

٣. روى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله " يقول: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء".

**المرتبة الثالثة: المشيئة:**

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا

حركة، ولا سكون، ولا هداية، ولا إضلال إلا بمشيئته.

وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقل والبيان، والنصوص الدالة على هذا الأصل كثيرة جداً من الكتاب والسنة، منها:

١, قوله تعالى: [وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ] سورة القصص: ٦٨,

٢. قوله تعالى: [وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] سورة التكوير:٢٩,

٣, قوله تعالى: [وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً، إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ] سورة الكهف: ٢٣_٢٤,

٤. قال صلى الله عليه وسلم ": إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يُصَرِّفه حيث يشاء."

**المرتبة الرابعة: الخلق:**

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، وبأن كل من سوى الله مخلوق مُوْجَدٌ من العدم، كائن بعد أن لم يكن.

أدلة هذه المرتبة :

وهذه المرتبة دلت عليها الكتب السماوية، وأجمع عليها الرسل _ عليهم الصلاة والسلام _ واتفقت عليها الفطر القويمة، والعقول السليمة ، والأدلة على هذه المرتبة لا تكاد تحصر منها:

١, قال تعالى: [اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ] سورة الزمر: ٦٢,

٢. قال تعالى [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ] سورة الأنعام:١,

٣, قال تعالى [الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً] الملك:٢,

٤. أخرج البخاري في خلق أفعال العباد عن حذيفة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم ": إن الله يصنع كل صانع وصنعته.

**الطوائف المنحرفة في القضاء والقدر والرد عليهم :خالف في القدر طائفتان :**

**الأولى : القدرية .** **الثانية : الجبرية**

**الفرقة الأولى : القدرية : وينقسمون إلى قسمين :**

**القسم الأول :القدرية الغلاة** ، وهم الذين نفوا العلم والكتابة فضلا عن المشيئة والخلق، حيث زعموا أن الله – تعالى عمَّا يقولون – لا يعلم بالأشياء قبل حصولها، ولم يتقدم علمه بها، وقالوا: إنما يعلم الله بالموجودات

بعد خلقها وإيجادها.

وزعم هؤلاء كذباً وزوراً أن الله إذا أمر العباد ونهاهم لا يعلم من يطيعه منهم ممن يعصيه، ولا يعلم من يدخل الجنة ممن يدخل النار، حتى إذا استجاب العباد لشرعه أو رفضوا – علم السعداء منهم والأشقياء.

وقد نشأ القول بهذا في آخر عهد الصحابة، فأول من قال به معبد الجهني،، ثم تقلد عنه هذا المذهب الفاسد رؤوس المعتزلة وأئمتهم كواصل بن عطاء الغزال، وعمرو بين عبيد، ورويت عنهم في هذا أقوال شنيعة فيها تكذيب لله ولرسوله في أن الله علم الأشياء وكتبها قبل خلقها .

وقد خشى الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته هذا الضلال الذي وقعت فيه هذه الفرقة، ففي الحديث الصحيح الذي يرويه ابن عساكر عن أبي محجن وابن عبد البر في "الجامع " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أخاف على أمتي من بعدي ثلاثاً: حيف الأئمة، وإيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر " .

وروى أبو يعلى في مسنده والخطيب في التاريخ وابن عَدِيّ في الكامل بإسناد صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أخاف على أمتي من بعدي خصلتين: تكذيباً بالقدر، وتصديقاً بالنجوم "

وهذه الفرقة ظهرت في آخر عهد الصحابة فقالوا بتكفيرهم، فعند مسلم أن يحيى بن يعمر قال: (كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني) ثم سأل عبد الله بن عمر قائلاً : (إنه قد ظهر قبلنا ناس يتقفرون هذا العلم –أي: يطلبونه طلباً حثيثاً، وفي رواية (يتفقرون) بالفاء قبل القاف، أي: يطلبون فقار العلم، ودقائقه ومسائله الغامضة العويصة– يقولون: لا قدر، وأن الأمر أنف ، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر)

وقد تلاشت هذه الطائفة التي تكذب بعلم الله السابق أو كادت، يقول السفاريني: " قال العلماء: المنكرون لهذا انقرضوا، وهم الذين كفرهم عليه الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد وغيرهم من الأئمة "

وقال النووي: " قال أصحاب المقالات من المتكلمين: انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه"

**القسم الثاني : القدرية النفاة** ، وهم المعتزلة ومن وافقهم الذين نفوا الخلق والمشيئة عن الله تعالى ، فقالوا : إن العبد قادر على فعل نفسه ، وله فيه المشيئة الكاملة ، والقدرة التامة ، وأن مشيئته وقدرته مستقلة عن إرادة الله وقدرته ، وأن العباد خالقون لأعمالهم وأفعالهم ، وانها ليست مخلوقة لله

**أدلة المعتزلة** :استند المعتزلة إلى شبه عقلية وأدلة نقليه فيما ذهبوا إليه ، نذكر أهمها وهي :

الشبهة الأولى : لو كانت أفعال العباد فعلا لله لكان الله فاعلا للظلم والكفر الواقع من العباد ولوجب وصفه بذلك وذمه على ذلك ، وهذا كفر من قائله ، فالنتيجة أن أفعال العباد ليست خلقا لله

الشبهة الثانية : لو كان الله خالقًا لأفعال العباد ، لبطل الثواب والعقاب ، إذ كيف يعاقبهم الله على أمر خلقه فيهم ؟

**الرد عليهم : جواب مجمل وجواب مفصل :**

**أما المجمل** : أن الأدلة من الكتاب والسنة دلت على أن الله خالق لأفعال العباد ، فمن ذلك : قوله تعالى : {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر ٦٢] وقوله : {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: ٩٦] وقوله : {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك ١٣، ١٤] ومن السنة عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته». رواه البخاري في خلق أفعال العباد، وابن أبي عاصم وغيرهما

**أما المفصل : الرد على الشبهة الأولى** :أن الظلم والفسق والقبائح إنما يتصف بها من كانت قائمة به ، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له إذا جعلها صفة في غيره ، كما أنه لا يتصف سبحانه بما خلقه في غيره من طعم أو رائحة أو شكل قبيح ،فكذلك الأفعال القبيحة إنما يتصف بها من قامت به لا من خلقها .

**الرد على الشبهة الثانية** : أنه قد ثبت بالأدلة القاطعة ، أن الله خالق أفعال العباد ، كما ثبت بالأدلة القاطعة أن الإنسان مكلف ، وأنه سيلقى الجزاء يوم القيامة على ما عمله في الدنيا ، والله _ سبحانه وتعالى _ قد أقام الحجة على العباد ، وأعطاهم المشيئة والقدرة على الاختيار ، والعباد هم الفاعلون حقيقة لأفعالهم ، وإن كانت أفعالهم كلها مخلوقة لله _ تعالى _ : فإذا ثبت هذا ، ووضح الحق لطالب الحق ، بطل هذا السؤال الوارد ؛ إذ لا تعارض البتة بين تكليف العباد ، وبين خلق الله لأفعالهم ؛ لأن الله مكنهم ، وأقام الحجة عليهم ، ولم يجبرهم ، وأخبر أنه ليس بظلام للعبيد ، وأنه لا يظلم الناس مثقال ذرة ، والله فطر العبد على محبته ، وتألهه ، والإنابة إليه ، فإذا لم يفعل العبد ما خلق له ، وفطر عليه ، عوقب على ذلك ، بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي

**وأما أدلة المعتزلة النقلية** :فاستدلوا بعدة آيات من القرآن أهمها :الآيات التي تثبت المشيئة للعباد ، قَوْلُهُ تَعَالَى {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيْدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيْدُ الآخِرَةَ} (آل عِمْرَان:١٥٢)، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى أَيْضًا {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيْمَ} (التَّكْوِيْر:٢٨)، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى أَيْضًا {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ

بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيْدِ} (فُصِّلَت:٤٦).

**الرد عليهم** : أن إثبات مشيئة العبد لا يعني استقلالها – من جهة الوقوع –، ولكنها تحت مشيئة الله تعالى كما في قوله تعالى {لمن شاء منكم أن يستقيم، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين} (التكوير:٢٩)

**الفرقة الثانية : الجبرية وهم طائفتان:**

**الأولى : الجبرية الغلاة وهم الجهمية** : أثبتوا قدر الله تعالى وغلوا في إثباته حتى سلبوا العبد اختياره وقدرته، وقالوا إن العبد لا قدرة له على عمله ، ولا إرادة له ولا اختيار له فيه ، وأن العباد مجبورون على أفعالهم وحركاتهم فيها كحركة الأشجار عند مهب الريح ، وكحركة المرتعش ، وأنهم مجبورون على الطاعة والمعصية وإنما تنسب أفعالهم إليهم على سبيل المجاز أدلتهم : استدلوا بآيات من القرآن والسنة أهمها :

١–الآيات التي تدل على أن الله خالق كل شيء ، مثل قوله تعالى : قوله تعالى: [ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ] سورة الأنعام:١٠٢ وقوله : {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}(الزمر :٦٢) فهذه الآيات تدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه لا خالق إلا هو، وأفعال العباد شيء؛ فالله خالقها وحده، ومن ثم فلا قدرة، ولا إرادة للعباد في أفعالهم؛ فهم مجبورون غير مختارين

**الرد عليهم من جهتين** :

الأولى : أن كون الآيات تدل على أن الله خالق شيء حق ، ولكن من أين يفهم منها أن العبد لا يكون قادرا مريدا ، فاعلا بمشيئته وقدرته ، وأنه هو الفاعل حقيقة ، وأفعاله قائمة به ، والله سبحانه خالقه ، بمعنى أنها مخلوقة له سبحانه وتعالى .

والثانية : أن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة دلت على إثبات إرادة العبد وإضافة عمله إليه وإثابته عليه كرامة أو إهانة، ولو كان مجبرا عليها ما كان لإضافة عمله إليه وإثابته عليه فائدة.

٢ــ واستدل الجبرية بالآيات التي تثبت المشيئة لله وحده، وأنه لا مشيئة للإنسان إلا تحت مشيئة الله: كقوله ــتعالىــ: [وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] (سورة القصص:٦٨).

وقوله ــتعالىــ: [وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً] (سورة الإنسان:٣٠) وغيرها من الآيات في هذا السياق؛ فهم يرون أن الإنسان إذا كان مسلوب الإرادة، والله هو الذي يشاء ويريد، ويهدي ويضل ــ فهو الخالق لأعمال العباد، وهم مجبورون لا إرادة لهم، ولا مشيئة، ولا خلق

**الرد عليهم** : أن الله تعالى أخبر في كثير من الآيات أن للعبد مشيئة مستقلة – من جهة اختياره –، ولكنها

خاضعة لمشيئته تعالى؛ فلا يقع إلا ما شاءه الله تعالى، كما قال تعالى: {لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين} (التكوير:٢٩).

٣ـ واستدل الجبرية بالآيات التي تنفي الفعل عن العبد، وتثبته لله: كقوله ـتعالىـ: [وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى].

**الرد عليهم** : أن استدلالهم بهذه الآية حجة عليهم؛ لأنه تعالى أثبت لرسوله صلى الله عليه وسلم رميا، بقوله: {إذ رميت}، فعلم أن المثبت غير المنفي، وذلك أن الرمي في الآية له معنيان:

أحدهما: حذف المرمي، وهو فعل النبي صلى الله عليه وسلم الذي أضافه الله إليه.

والثاني: إيصال المرمي إلى أعين الكفار الذين رماهم النبي صلى الله عليه وسلم بالتراب يوم بدر فأصاب عين كل واحد منهم، وهذا من فعل الله؛ إذ ليس بمقدور النبي صلى الله عليه وسلم أن يوصل التراب إلى عين كل واحد منهم .

فالمعنى حينئذ – والله تعالى أعلم: وما أصبت إذ حذفت ولكن الله أصاب.

**الطائفة الثانية من الجبرية:** الجبرية المتوسطة وهم الأشاعرة : قالوا : إن أفعال العباد مخلوقة لله وهي مع كونها خلق الله فهي كسب العبد وله عليها قدرة غير مؤثرة ، قال البيجوري : (وبالجملة فليس للعبد تأثير ما ، فهو مجبور باطناً مختار ظاهراً)

**الرد عليهم** :

١–أن قولهم متناقض غير معقول ، فإن القدرة إذا لم يكن لها تأثير أصلا في الفعل كان وجودها كعدمها ولم تكن قدرة

٢–أن النصوص الشرعية قد دلت على خلق الله لأفعال العباد وإثبات القدرة لهم عليها، ونسبتها لهم حقيقة، واستحقاقهم المدح والذم والثواب والعقاب وفقاً لها.

## أنواع كتابة المقادير وأنواع الأقلام والمحو والإثبات، وآراء السلف في أول المخلوقات :

### أنواع كتابة المقادير :

أولًا : الكتابة العامة : وهي كتابة المقادير كلها في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض ، ودليها قوله تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج: ٧٠] (الحج الآية ٧٠) .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»

ثانيًا كتابة الميثاق يوم (ألست بربكم) :قال تعالى: {وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون * وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون} .

روى أحمد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه مرفوعا: (إن الله عز وجل خلق آدم، ثم أخذ الخلق من ظهره، وقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي) ، فقال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا العمل؟ قال: (على مواقع القدر) وهي :

ثالثًا: كتابة أعمال الإنسان وهو في بطن أمه : كما في الحديث (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد؛ فو الله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع؛ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع؛ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها).

رابعًا: الكتابة الحولية: وهي التي تكون في ليلة القدر؛ فيكتب فيها ما يكون في السنة، قال الله تعالى: { {إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منزلين * فيها يفرق كل أمر حكيم * أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين} قال ابن عباس رضي الله عنهما: ( يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان) .

خامسًا: نسخ المقادير من قبل الحفظة من اللوح المحفوظ، وهو التقدير اليومي ، قال الشيخ حافظ الحكمي : ( التقدير اليومي، وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق قال تعالى: {يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن} فمن شانه تعالى أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين، وهذا التفسير علقه البخاري موقوفا عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

وجملة القول في ذلك أن التقدير اليومي هو تأويل المقدور على العبد وإنفاذه فيه في الوقت الذي سبق أن يناله فيه، لا يتقدمه ولا يتأخره ، كما أن في الآخرة يأتي تأويل الجزاء الموعود إن خيرا فخير وإن شرا فشر)

**أنواع الأقلام**: ذكر العلماء خمسة أنواع :

القلم الأول: العام الشامل لجميع المخلوقات، وهو الذي تقدم ذكره مع اللوح.

القلم الثاني: خبر خلق آدم، وهو قلم عام أيضا، لكن لبني آدم، ورد في هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم، عقيب خلق أبيهم.

القلم الثالث: حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: «رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد» كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة.

القلم الرابع: الموضوع على العبد عند بلوغه، الذي بأيدي الكرام الكاتبين، الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم.

القلم الخامس : الذي يكتب مقادير العام في ليلة القدر من كل سنة، المشار إليه بقوله: [فيها يفرق كل أمر حكيم]

**المحو والإثبات**

قد يشكل على بعض الناس مواضعُ في كتاب الله، وأحاديث رسول الله" فيقول بعضهم: إذا كان الله قد علم كل ما هو كائن، وكتب ذلك كله عنده في كتاب _ فما معنى قوله: [يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ] سورة الرعد: ٣٩. وإذا كانت الأرزاق مكتوبة، والآجال مضروبة، لا تزيد ولا تنقص فما التوجيه لقوله ": من سرَّه أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه.

**والجواب أن القدر قدران:**

**أحدهما: القدر المثبت، أو المطلق، أو المبرم:** وهو ما في أم الكتاب _اللوح المحفوظ _ فهذا ثابت لا يتغير، ولا يتبدل.

**وثانيهما: القدر المعلق، أو المقيد:** وهو ما في كتب الملائكة، فهذا هو الذي يقع فيه المحو الإثبات، فالآجال والأرزاق والأعمار، وغيرها مثبتة في أم الكتاب لا تتغير، ولا تتبدل، أما ما في صحف الملائكة فيقع فيه المحو والإثبات، والزيادة والنقص.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :"والأجل أجلان: أجل مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد، وبهذا يتبين معنى قوله ": من سرَّه أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه".

فإن الله أمر الملَك أن يكتب له أجلاً وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملَك لا يعلم أيزداد أم لا؟ لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر.

فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملَك.

وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله _ تعالى _ فلا محو فيه البتة، ويُقال له: القضاء المبرم، ويقال للأول: القضاء المعلَّق.

**آراء السلف في أول المخلوقات :**

اختلف العلماء: هل القلم أول المخلوقات، أو العرش؟ على قولين

القول الأول: أنه القلم؛ كما ذهب إليه بعض أهل العلم، بدليل عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة».

القول الثاني: أنه العرش، وهو قول جمهور السلف، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم واستدل أصحاب القول الثاني من السنة: بقول رسول الله : "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض»

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء» .

ووجهوا حديث عبادة بتوجيهين:

أحدهما: إما أن يكون قوله : « إن أول ما خلق الله القلم» إلى آخره جملة واحدة وهو مروي بالنصب، وهو الصحيح كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له : اكتب

الثاني : وإن كان جملتين وهو مروي بالرفع؛ أي: «أول ما خلق الله القلمُ » فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، ليتفق الحديثان.

**المراد بالميثاق وأدلته، والرد على من أنكره.**

**الميثاق لغة** : العهد والميثاق

**شرعا** : هو العهد الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته.

دليله : الأصل في ذلك قوله –تعالى–: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) }

**الأقوال في المراد بالميثاق** : اختلف العلماء في هذا العهد ما هو ؟ على قولين مشهورين :

القول الأول : أن الله –تعالى– استخرج ذرية آدم من صلبه من ظهره وأشهدهم على أنفسهم بلسان المقال

بأن الله ربهم ثم عاهدهم ، وأن الله ميزهم إلى أصحاب اليمين وإلى أصحاب الشمال فيكون العهد هذا أن الله سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد وأنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها ربها فشهدت ونطقت.

وقال الشيخ الأمين الشنقيطي عن هذا القول عليه أكثر المتقدمين من السلف وهو الذي يدل له بعض الأحاديث الصحيحة والقرآن يرشد إليه وقال هذا القول قال به كثير من السلف.

ومن الأدلة لهذا القول حديث ابن عباس الذي رواه الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم –عليه الصلاة والسلام– بنعمان وهو واد إلي جنب عرفة – يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا قال: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا} ) إلى آخر الآية وأقوى ما يشهد لصحة هذا القول حديث أنس المخرج في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا؟ قال: فيقول: نعم قال: فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم ألا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي شيئا) وقد روي من طريق أخرى (قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل) فيرد إلى النار وليس فيه في ظهر آدم.

القول الثاني: أن الله استخرج ذرية بني آدم بعضهم من بعض من أصلابهم بعد الولادة شاهدون على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو، فالإخراج من ظهور بني آدم بعضهم من بعض، ومعنى أشهدهم على أنفسهم بلسان الحال لا بلسان المقال أي: دلهم على توحيده وفطرهم عليه بأن بسط لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها الله فيهم، فكل بالغ يعلم ضرورة أن له ربا واحدا. فالمراد بالإشهاد فطرتهم على التوحيد، فكل مولود يولد على الفطرة فقام ذلك مقام الإشهاد.

واستدل أصحاب هذا القول بآية الأعراف من وجوه:

أحدها: أنه قال في الآية: من بني آدم ولم يقل: من آدم.

الثاني: أنه قال: من ظهورهم ولم يقل: من ظهره وهو بدل بعض أو بدل اشتمال وهو أحسن.

الثالث: أنه قال: ذريتهم ولم يقل: ذريته.

الرابع: أنه قال: وأشهدهم على أنفسهم ولا بد أن يكون الشاهد ذاكرا لما شهد به وهو لا يذكر شهادته إلا بعد خروجه إلى هذه الدار لا يذكر شهادته قبله.

واستدلوا ببعض الأدلة من السنة

ومنها حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – في الصحيحين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة) وفي رواية: (على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد بهيمة جماء هل تحسون فيها من جدعاء)

ومنها حديث عياض بن حمار في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم)

والأقرب والله أعلم القول الأول لدلالة الأحاديث السابقة.

**المراد بالفطرة، وأدلتها.**

**الفطرة في اللغة:** قال الجوهري: "والفِطْرة بالكسر الخلقة، وقد فطره يفْطُرُه بالضم فطراً، أي خلقه. والفَطْر أيضا الشق، يقال فطرته فانفطر.. وتفَطَّر الشيء تشقق.. والفَطْر الابتداء والاختراع، قال ابن عباس – رضي الله عنه –: كنت لا أدري ما فاطر السماوات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي أنا ابتدأتها".

وعلى هذا فلفظ فطر يدور معناه على الشق والابتداء والخلق.

**معنى الفطرة في الشرع:** القول الراجح في تعريف الفطرة أنها الإسلام ، وليس معنى هذا أن الإنسان لما يولد يعرف الإسلام بتفاصيله ، بل الفطرة هي القوة العلمية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع ، وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة ، والقول بأن الفطرة هي الإسلام هو قول عامة السلف ، قال شيخ الإسلام :( أما قوله صلى الله عليه وسلم {كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه} فالصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي فطرة الإسلام وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: {ألست بربكم قالوا بلى} . وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة. فإن حقيقة " الإسلام " أن يستسلم لله؛ لا لغيره وهو معنى لا إله إلا الله)

**الأدلة على الفطرة** :١–قوله تعالى : {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم – ٣٠] روي عن عكرمة، ومجاهد، والحسن، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة، أنهم قالوا: فطرة الله، دين الله الإسلام.

٢–وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ} [الروم: ٣٠] متفق عليه

٣-ألفاظ الحديث الأخرى التي في الصحيح مثل قوله "على الملة"، و "على هذه الملة" أخرجهما مسلم

٤-وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « خمس من الفطرة - الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب» يعني فطرة الإسلام متفق عليه

٥- وعن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ذات يوم في خطبته: " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم" رواه مسلم

٦-أن الصحابة فهموا من الحديث أن المراد بالفطرة: الإسلام، ولذلك سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عقب ذلك عن أطفال المشركين (أرأيت من يموت من أطفال المشركين وهو صغير؟) ، لأنه لو لم يكن هناك ما يغير تلك الفطرة لم سألوه.

## أنواع الإرادة وعلاقة الأمر الشرعي بالإرادة ، وعلاقة المشيئة بالمحبة وموقف المخالفين من ذلك ونقده

**الإرادة نوعان: ١-إرادة كونية قدرية ٢-وإرادة دينية شرعية.**

**١-إرادة كونية قدرية** : وهي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، ولا يلزم منها المحبة والرضا ، فقد يكون بها ما يحبه الله ويرضاه مثل طاعة المؤمنين وعباداتهم التي أراد الله وقوعها منهم، ، وقد يكون بها ما لا يحبه ولا يرضاه مثل كفر الكافرين ومعصية العصاة الواقعة منهم، فإنها لم تقع منهم إلا بعد إرادة الله وقوعها، لكن الله عز وجل لا يحبها بل يبغضها ويكرهها، وإن كانت واقعة بإرادته الكونية القدرية. ، ودليلها قوله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} [الأنعام: ١٢٥] وقوله تعالى: {وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ} [المائدة: ٤١] الآيات، وغيرها.

**٢- إرادة دينية شرعية** :وهي التي تتضمن معنى المحبة والرضى ، ولا تستلزم وقوع المراد إلا إذا تعلقت بالإرادة الكونية )، ودليلها قوله تعالى: {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} [سورة البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: {يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم} [سورة النساء: ٢٦]. {والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما، يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا} [سورة النساء: ٢٧، ٢٨]. وقوله تعالى: {ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم} [سورة المائدة: ٦]. وقوله تعالى: {إنما يريد الله ليذهب

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} [سورة الأحزاء: ٣٣].

**الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية :**

الأول: أن الإرادة الكونية يلزم فيها وقوع المراد، والإرادة الشرعية لا يلزم فيها وقوع المراد، فقد يريد الله الشيء شرعا ولا يقع.

الثاني: الإرادة الشرعية لا تكون إلا فيما يحبه الله، والإرادة الكونية تكون فيما يحبه وما لا يحبه. فمثلا الإيمان والعمل الصالح مراد لله شرعا لا كونا؛ لأن من الناس من لم يؤمن ومن لم يعمل صالحا، ولو كان مرادا لله كونا وقدرا للزم أن يؤمن الناس كلهم ويعملوا صالحا.

**خالف أهل السنة في تقسيم الإرادتين طائفتان :**

**الأولى : المعتزلة القدرية:** أثبتوا الإرادة الشرعية وأنكروا الإرادة الكونية وزعموا أن كفر الكافر ومعصية العاصي لا تدخل تحت إرادة الله ولا تقديره .

وقالوا إن الأمر يستلزم الإرادة فكل ما أمر به فقد أراده ، وقالوا علمنا أن الله لم يأمر بالكفر والمعاصي فهو لم يردها .

**والطائفة الثانية :الجبرية:** أثبتوا الإرادة الكونية وأنكروا الإرادة الشرعية وقالوا إن الكفر والمعاصي مرادة الله ومحبوبة له وقد جبرهم عليها لا خيار لهم في تركها .

وقالوا إن الأمر لا يستلزم الإرادة ولهذا لم يأمر الله بالكفر وأراده .

ومنشأ الضلال عند الفرقتين التسوية بين المشيئة والإرادة ، وبين المحبة والرضا ، فسوى بينهما الجبرية والقدرية ، ثم اختلفوا ، فقالت الجبرية : الكون كله بقضائه وقدره ، فيكون محبوبا مرضيا . وقالت القدرية النفاة : ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له ، فليست مقدرة ولا مقضية ، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه، وقد دل على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتاب والسنة وقد تقدم ذكر ذلك.

**معنى خلق أفعال العباد ومذهب السلف في ذلك وأدلته :**

**مذهب السلف في خلق أفعال العباد:** إن الله خالق أفعال العباد كلها، والعباد فاعلون حقيقة، والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم. وللعباد القدرة على أعمالهم ولهم إرادة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال الله تعالى: (لمن شاء منكم أن يستقيم، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين).

**وجه كون الله خالقا لفعل العبد** : أن فعل العبد وقوله ناتج عن أمرين هما: ١. الإرادة ٢. القدرة

فلولا الإرادة لم يفعل ولولا القدرة لم يفعل، لأنه إذا أراد هو عاجز لم يفعل، وإذا كان قادرا ولم يرد لم يكن الفعل، فإذا كان الفعل ناتجا عن إرادة جازمة وقدرة كاملة ، فالذي خلق الإرادة الجازمة والقدرة الكاملة هو الله ، وبهذا الطريق عرفنا كيف يمكن أن نقول إن الله تعالى خالق لفعل العبد ، وإلا فالعبد هو الفاعل في الحقيقة فهو المتطهر وهو المصلى وهو المزكي وهو الصائم وهو الحاج وهو المعتمر وهو العاصي وهو المطيع، لكن هذه الأفعال كلها كانت ووجدت بإرادة وقدرة مخلوقين لله عز وجل ، وبهذا كانت أفعال العباد خلق لله والأمر ولله الحمد واضح.

**الأدلة على خلق الله لأفعال العباد:**قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } (الصافات: ٩٦ ) ،: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } (القمر: ٤٩) ، وقوله : {ذلكم الله ربكم خالق كل شيء} [غافر: ٦٢] ، وقوله : {وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم} [الأنعام: ١٠١]، وقوله : {لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه} [الأنعام: ١٠٢] وقوله : {هل من خالق غير الله} [فاطر: ٣] ، وقوله : {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك ١٣، ١٤]، وقوله: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ} [الحجرات: ٧] ، وقوله : {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)} ( الشمس: ٧ – ١٠) ، وغير ذلك من الآيات، وللبخاري في خلق أفعال العباد عن حذيفة مرفوعا: «أن الله يصنع كل صانع وصنعته» ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها إنك وليها ومولاها» رواه مسلم

**أقوال المخالفين لأهل السنة في أفعال العباد:** سبق ذكرها في ذكر أقوال المخالفين في القدر وهي باختصار

١. قول المعتزلة : الذين يلقبون بالقدرية: وقولهم بخلاف الجبرية، وهو أن العبد مستقل بفعله، وينفون أن يكون الله عز وجل قد خلق فعل الإنسان أو شاءه.

٢. قول الجبرية: الذين يقولون ليس للعبد أي قدرة على فعله ولا اختيار، بل هو مجبور كالريشة في مهب الريح، وإنما يخلق الله الأفعال فيه.

٣. قول الأشاعرة: وملخصه أن أعمال العباد مخلوقة لله عز وجل، والعبد ليس فاعلاً لها إنما كاسب. وفرق بين الأمرين فالكسب عند الأشاعرة قدرة غير مؤثرة، ويعرفونها بأنها مقارنة للقدرة الحادثة للفعل من غير تأثير. والمتأمل لقول الأشاعرة لا يجده بعيداً عن قول الجبرية الذين يقولون بأن العبد مجبور على فعله، وقد

اشتهر المذهب الأشعري –على ضوء مقالتهم هذه– بنظرية الكسب التي صارت علماً عليهم

**معاني الحكمة والتعليل ،والهدي والضلال ، وعلاقة الأسباب بالقدر والرد على المخالفين**

**الحكمة** :هي الغاية التي يفعل لأجلها، وتكون هي المطلوبة بالفعل، ويكون وجودها أولى من عدمها

**والعلة** : هي يعبر بها عما لأجله يفعل الفعل ، فيقال : فعل الفعل لعلة كذا أو لم يفعل لعلة كذا

**والعلة نوعان:** ١ . علة فاعلية ٢ . علة غائية.

**١ . علة فاعلية:** وهي سبب وجود الشيء، فيقال: علة وجود الخلق قدرة الله وخلقه، مثالها في القرآن قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يّس: ٨٢] .

**٢ . علة غائية:** وهي الغاية من وجود الشيء، فيقال: علة وجود الخلق عبادة الله تعالى، ومثالها في القرآن قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦] .

فالعلة الفاعلية هي السبب ، والعلة الغائية هي الحكمة فلا فرق بين العلة الغائية والحكمة

**مذهب السلف في الحكمة والتعليل** : أن لله حكمة في كل ما خلق، فالله سبحانه وتعالى حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة، فأفعاله سبحانه كلها سواء ما يتعلق به أو ما يتعلق بخلقه معللة مبنية على حكم عظيمة وغايات شريفة وليست مجرد أفعال صدرت بمحض المشيئة.

**ومن الأدلة الدالة على ذلك** :

النوع الأول: التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه كقوله: {حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ} وقوله: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} وقوله: {وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً}

النوع الثاني: إخباره أنه فعل كذا لكذا وأنه أمر بكذا لكذا كقوله: {ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} وقوله: {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} وقوله: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} وقوله: {لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} وقوله: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ}

النوع الثالث الإتيان بكي الصريحة في التعليل كقوله تعالى: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} فعلل سبحانه تسمية الفيء بين هذه الأصناف كي لا يتداوله الأغنياء دون الفقراء والأقوياء دون الضعفاء وقوله سبحانه: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى

اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ}

**المخالفون في مسألة تعليل أفعال الله :**

**طائفتان :**

**الطائفة الأولى : قول من نفى الحكمة وأنكر التعليل**، وهؤلاء يقولون: إن الله تعالى خلق المخلوقات، وأمر المأمورات، لا لعلة ولا لداع ولا باعث، بل فعل ذلك لمحض المشيئة، وصرف الإرادة، وهذا مذهب الجهمية والأشاعرة

**الرد عليهم** : ما سبق ذكره من النصوص الشرعية التي تثبت أن لله حكمة في كل ما خلق قال ابن القيم رحمه الله" كمال الرب تعالى وجلاله، وحكمته، وعدله، ورحمته، وإحسانه، وحمده، ومجده، وحقائق أسمائه الحسنى تمنع كون أفعاله صادرة منه لا لحكمة، ولا لغاية مطلوبة. وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك، وتشهد ببطلانه"

**الطائفة الثانية** : قالت : إن الله فعل المفعولات وخلق المخلوقات، وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة، ولكن هذه الحكمة مخلوقة، منفصلة عنه، لا ترجع إليه، وهذا قول المعتزلة ومن وافقهم

**الرد عليهم** : المعتزلة أحسنوا هنا بإثبات الحكمة لله فيما يتعلق بأمره وخلقه ، ولكنهم أخطؤوا في إنكارهم الحكمة التي تعود إلى الخالق ، وهذا باطل فالله عز وجل حكيم، والحكيم من له الحكمة ، لأن إثبات المشتق يؤذن بثبوت المشتق منه، والأدلة المثبتة لحكمة الله تعالى كثيرة منها : {قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (البقرة آية ٣٢) ، وقوله تعالى: {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (البقرة آية ١٢٩) ، وقوله تعالى :{فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} (النساء آية ١١) ، وقوله: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً} (الفتح آية ٤) ، وقوله: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} (الإنسان آية ٣٠)

**معنى الهدى والضلال :**

الهدى في اللغة : الرشاد والدلالة

وفي الشرع :الهداية في الشرع على قسمين :

الأولى : هداية التوفيق : وهي جعل الهدى في القلوب ، وهي المستلزمة للاهتداء ، ولا يقدر عليها إلا الله تعالى .

والثانية : هداية الدلالة والإرشاد ، وتعني نصب الأدلة ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، ولا تستلزم حصول التوفيق ، وإن كانت شرطا فيه

والضلال في اللغة : قال في اللسان: قال أبو منصور: "والإضلال في كلام العرب ضد الهداية والإرشاد يقال: أضللت فلاناً إذا وجهته للضلال عن الطريق

والضلال شرعًا : هو العدول عن طريق الحق بلا علم ، وهو ضد الاهتداء

**ومذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الهداية والإضلال** : أن الهداية والإضلال بيد الله عز وجل ، فهو يهدي من يشاء نعمة منه وفضلا ، ويضل من يشاء حكمة منه وعدلا قال تعالى : {يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [فاطر: ٨]، وقال تعالى :: {إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ} [النحل: ٣٧]، وقال : { وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الْحَدِيدِ: ٢٩] ، وقال : { وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ { [سورة البقرة: ١٠٥] قوله –صلى اللَّه عليه وسلم–: "من يهدي اللَّه فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .. "رواه مسلم

**المخالفون في الهداية والإضلال: طائفتان: المعتزلة ، والجبرية**

**الطائفة الأولى** : **المعتزلة والقدرية** قالوا: الهداية والإضلال بيد العبد وليس بيد الله وتأولوا النصوص في مثل قوله: {يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} قالوا معناه: يهدي أي يسميه مهتديا ويبين لهم طريق الصواب ، ويضل من يشاء قالوا: يسميه ضالا أو يحكم عليه بالإضلال بعد أن يخلق الضلال من نفسه.

**الرد عليهم** : من جهة النقل والعقل

**أما من حيث اللغة:** فقد قال ابن القيم : (وليس في لغة أمة من الأمم فضلا عن أفصح اللغات وأكملها هداه بمعنى سماه مهتديا وأضله سماه ضالا وهل يصح أن يقال علمه إذا سماه عالما وفهمه إذا سماه فهما وكيف يصح هذا في مثل قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاء} فهل فهم أحد غير القدرية المحرفة للقرآن من هذا ليس عليك تسميتم مهتدين ولكن الله يسمي من يشاء مهتديا وهل فهم أحد قط من قوله تعالى: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْت} لا تسميه مهتديا ولكن الله يسميه بهذا الاسم )

**أما من حيث النقل** :فيقال لهم : نعم قد يكون الهدى من الله بيان طريق الصواب ، قوله تعالى : {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}( فصلت : ١٧ ) ، لكن حصرها بهذا النوع لا يوافقون عليه فإنه سبحانه قد وصف نفسه بالهداية التي هي التوفيق والإلهام ودليله : {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء} ( الأنعام : ١٢٥) ،

ولهذا نفاها أي هداية التوفيق عن نبيه صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} ( القصص : ٥٦)

**الطائفة الثانية : الجبرية** : وهم المنكرون أن العبد له فعل أو إرادة ، وينسبون فعل العبد وإرادته لله ، وطرد قولهم في هذا الباب هو أن الضلال ينسب إلى العبد مجازا وهو فعل الله على الحقيقة ، وهو قول في غاية البطلان والبعد عن الدين والعقل والفطرة واللغة ، فإن نسبة الأفعال في الهدى والضلال إلى من قامت بهم الأفعال وارتكبوها مما يتفق عليه العقلاء ويؤكده الشرع ويوضحه ، قال تعالى : ( غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) وقال ( وأما إن كان من المكذبين الضالين ) وقال : ( من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ) فهذه النصوص الكثيرة فيها دلالة واضحة على أن الضلالة هي فعل العبد واكتسبها وقامت به ، فهي تنسب إليه ويعاقب عليها ، والمنسوب إلى الله من ذلك تقديره وخلقه للفعل في العبد .

**علاقة الأسباب بالقدر** : الأخذ بالأسباب من تمام الإيمان بالقدر ، وليس مناقضاً للقدر ولا منافياً له ، فالقدر لا ينافي الأسباب القدرية أو الشرعية التي جعلها الله تعالى أسباباً، فإن الأسباب من قدر الله تعالى، وربط المسببات بأسبابها هو مقتضى الحكمة التي هي من أجل صفات الله عز وجل، والتي أثبتها الله لنفسه في مواضع كثيرة من كتابه.

وإذا كان القدر لا ينافي الأسباب ، فلا يترك العمل من أجل القدر المكتوب ، ولا يترك الدعاء والاستعانة بالله ، بل يجب عليه أن يعمل ويستعين ويتوكل على الله ، يجمع بينهما ، لأن المكلف يتعاطى السبب امتثالا لأمر ربه مع علمه ويقينه أنه لا يقع إلا ما يشاء الله وقوعه. فهو متوكل على الله، عالم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر، ولو شاء الله تخلف تأثير الأسباب عن مسبباتها لتخلف.

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى : قول الله تعالى لمريم: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً} والله جل وعلا قادر على أن يسقط لها الرطب من غير هز الجذع، ولكنه أمرها بالتسبب في إسقاطه بهز الجذع

ومما يوضح أن تعاطي الأسباب لا ينافي التوكل على الله قوله تعالى عن يعقوب: {وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة} أمرهم في هذا الكلام بتعاطي السبب، وتسبب في ذلك بالأمر به، لأنه يخاف عليهم أن تصيبهم الناس بالعين لأنهم أحد عشر رجلا أبناء رجل واحد، وهم أهل جمال وكمال وبسطة في الأجسام، فدخولهم من باب واحد مظنة لأن تصيبهم العين فأمرهم بالتفرق والدخول من أبواب متفرقة تعاطيا للسبب في السلامة من إصابة العين؛ ومع هذا التسبب أرجع الحكم والأمر إلى الله فجمع بين

التسبب في قوله: {لا تدخلوا من باب واحد} وبين التوكل على الله في قوله: {عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون}

ومن الأدلة على ذلك : أن قد النبي – صلى الله عليه وسلم – جمع بين هذين الأصلين –فعل السبب مع التوكل– في الحديث الصحيح، حيث يقول "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان" رواه مسلم

فأمره بالحرص على الأسباب، والاستعانة بالمسبب، ونهاه عن العجز، وأكد على الإيمان بالقدر ، وعدم التحسر على ما مضى

**والناس في الأسباب طرفان ووسط:**

فالطرف الأول: نفاة أنكروا تأثير الأسباب وجعلوها مجرد علامات يحصل الشيء عندها لا بها، حتى قالوا: إن انكسار الزجاجة بالحجر إذا رميتها به حصل عند الإصابة لا بها. وهؤلاء خالفوا السمع، وكابروا الحس، وأنكروا حكمة الله تعالى في ربط المسببات بأسبابها.

والطرف الثاني: غلاة أثبتوا تأثير الأسباب، لكنهم غلوا في ذلك وجعلوها مؤثرة بذاتها، وهؤلاء وقعوا في الشرك، حيث أثبتوا موجداً مع الله تعالى وخالفوا السمع والحس. فقد دل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أنه لا خالق إلا الله، كما أننا نعلم بالشاهد المحسوس أن الأسباب قد تتخلف عنها مسبباتها بإذن الله، كما في تخلف إحراق النار لإبراهيم الخليل حين ألقي فيها فقال الله تعالى: {يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ} [الأنبياء: ٦٩] . فكانت برداً وسلاماً عليه ولم يحترق بها.

وأما الوسط: فهم الذين هدوا إلى الحق وتوسطوا بين الفريقين وأخذوا بما مع كل واحد منهما من الحق، فأثبتوا للأسباب تأثيراً في مسبباتها لكن لا بذاتها بل بما أودعه الله تعالى فيها من القوى الموجبة. وهؤلاء هم الطائفة الوسط الذين وفقوا للصواب وجمعوا بين المنقول والمعقول، والمحسوس، يقول السفاريني: (..وأما مذهب السلف الصالح المثبتون للقدر من جميع الطوائف فإنهم يقولون إن العبد فاعل لفعله حقيقة وإن له قدرة واستطاعة حقيقية ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل من أن الله تعالى ينبت النبات بالماء، وأن الله يخلق السحاب بالرياح وينزل الماء بالسحاب، ولا يقولون القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقرون بأن لها تأثيرًا لفظًا ومعنى، ولكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الأسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب)

**حكم الاحتجاج بالقدر ، وأدلة ما يشرع منه وما يمنع :**

**أولًا : الاحتجاج بالقدر على ترك أمر مشروع أو فعل أمر محرم لا يجوز ويدل على ذلك الكتاب والسنة والنظر:**

– أما الكتاب: فمن أدلته قوله تعالى: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: ١٤٨] فأبطل الله حجتهم هذه بقوله: {كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا} [الأنعام: ١٤٨] . ومنها قوله: {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥] .

فبين الله تعالى أن الحجة قامت على الناس بإرسال الرسل، ولا حجة لهم على الله بعد ذلك، ولو كان القدر حجة ما انتفت بإرسال الرسل.

وأما السنة: فمن أدلتها ما ثبت في الصحيحين عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة". قالوا: يا رسول الله! أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة. ثم قرأ {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ٥–١٠] .

– وأما النظر: فمن أدلته:

١– أن تارك الواجب وفاعل المحرم يقدم على ذلك باختياره لا يشعر أن أحداً أكرهه عليه، ولا يعلم أن ذلك مقدر؛ لأن القدر سر مكتوم فلا يعلم أحد أن شيئاً ما قدره الله تعالى إلا بعد وقوعه.

فكيف يصح أن يحتج بحجة لا يعلمها قبل إقدامه على ما اعتذر بها عنه؟!!

ولماذا لم يقدر أن الله تعالى كتبه من أهل السعادة، فيعمل بعملهم، دون أن يقدر أن الله كتبه من أهل الشقاوة، ويعمل بعملهم؟!

٢– أن إقحام النفس في مآثم ترك الواجب وفعل المحرم ظلم لها وعدوان عليها، كما قال الله تعالى عن المكذبين للرسل: {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم} [هود: ١٠١] . ولو أن أحداً ظلم المحتج بالقدر على مخالفته، ثم قال له: ظلمي إياك كان بقدر الله. لم يقبل منه هذه الحجة، فكيف لا يقبل هذه الحجة بظلم غيره له، ثم يحتج بها بظلمه هو لنفسه؟!

٣- أن هذا المحتج لو خير في السفر بين بلدين أحدهما: بلد آمن مطمئن فيه أنواع المآكل، والمشارب، والتنعم، والثاني: بلد خائف قلق، فيه أنواع البؤس، والشقاء، لاختار السفر إلى البلد الأول ولا يمكن أن يختار الثاني محتجاً بالقدر، فلماذا يختار الأفضل في مقر الدنيا، ولا يختاره في مقر الآخرة؟

**ثانيًا : الاحتجاج بالقدر على المصائب دون المعايب جائز لا بأس به** ويدل على ذلك أبي هريرة أيضا قال: قال رسول اله – صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان"رواه مسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "احتج آدم وموسى – وفي لفظ: تحاج آدم وموسى – فقال موسى: يا آدم! أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى ثلاثاً". وعند أحمد: "فحجه آدم". أي غلبه في الحجة. فآدم عليه السلام لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وموسى عليه السلام لم يلم أباه آدم على ذنب تاب منه، وتاب الله عليه منه واجتباه وهداه، وإنما وقع اللوم من موسى على المصيبة التي أخرجت آدم وأولاده من الجنة.

فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعايب

**ثالثًا : الاحتجاج بالقدر على ترك الواجب، أو فعل المحرم بعد التوبة جائز مقبول،** لأن الأثر المترتب على ذلك قد زال بالتوبة فانمحى به توجه اللوم على المخالفة، فلم يبق إلا محض القدر الذي احتج به لا ليستمر على ترك الواجب، أو فعل المحظور ولكن تفويضاً إلى قدر الله تعالى الذي لابد من وقوعه، وهذا الرأي ذهب إليه ابن القيم رحمه الله عند كلامه على حديث احتجاج آدم وموسى ، قال رحمه الله : " الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع، ويضر في موضع، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه، وترك معاودته، كما فعل آدم، فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع، لأنه لا يدفع بالقدر أمراً ولا نهياً، ولا يبطل به شريعة، بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءَة من الحول والقوة.

**ثمرات الإيمان بالقدر.**

الإيمان بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح يثمر ثمراتٍ جليلة، وأخلاقاً جميلة، وعبودياتٍ متنوعةٍ، يعود أثرها على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة ، ومن هذه الثمرات :

١. أنه من تمام الإيمان بالله وبالربوبية ولا يتم الإيمان إلا بذلك لأن قدر الله من أفعاله..

٢. رد الإنسان أموره إلى ربه لأنه إذا علم أن كل شيء بقضائه وقدره فإنه سيرجع إلى الله في دفع الضراء ورفعها ويضيف السراء إلى الله ويعرف أنها من فضل الله عليه.

٣. الهداية: كما في قوله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).وقال علقمه: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من قبل الله فيسلم ويرضى .

٤. الشكر: فالمؤمن بالقدر يعلم أن ما به من نعمة فمن الله وحده، وأن الله هو الدافع لكل مكروه ونقمه، فينبعث بسبب ذلك إلى الشكر لله ، إذ هو المنعم المتفضل الذي قدر له ذلك، وهو المستحق للشكر، وهذا لا يعني ألا يشكر الناس.

٥. الإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تفتك بالمجتمعات، وتزرع الأحقاد بينها ، وذلك مثل رذيلة الحسد فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضه ، لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم وقدر لهم ذلك، فأعطى من شاء ، ومنع من شاء ابتلاءً وامتحاناً منه ، وإنه حين يحسد غيره إنما يعترض على القدر.

٦. السلامة من الاعتراض على أحكام الله الشرعية وأقداره الكونية ، والتسليم له في ذلك كله.